شرح

الواجبات المتحتمات

المعرفة على كل مسلم ومسلمة

الشرح من دروس
الشيخ / عبدالله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي
إمام وخطيب الجامع الكبير ببريدة

دار الصميعي للنشر والتوزيع

شرح الواجبات المتحتمات المعرفة

على كل مسلم ومسلمة

الشرح من دروس

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي

إمام وخطيب الجامع الكبير ببريدة

ح عبدالله بن ابراهيم القرعاوي، ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القرعاوي ، عبدالله بن ابراهيم
شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة/
عبدالله بن ابراهيم القرعاوي،- الرياض، ١٤٣٥هـ
ص ١٦٠ ؛ سم: ١٧×٢٤
ردمك: ٦-٥٩٨٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١- التوحيد ٢- الصلاة أ. العنوان
ديوي: ٢٤٠ ١٤٣٥/٧٦٤٩

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٧٦٤٩
ردمك: ٦-٥٩٨٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨

محفوظة جميع حقوق

الطبعة الأول ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض
ص.ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩ فاكس: ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية
هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه ومن اتبعه.

وبعد: فهذا شرح لفضيلة الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي في الجامع الكبير في مدينة (بريدة) لكتاب (**الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة**) جمع عبدالله البراهيم القرعاوي، فقد قرأت عليه هذا الكتاب فشرحه ولما رأيته شرحاً مفيداً يحتاج إليه المسلم والمسلمة ويستفيدون منه، قمت بجمعه، أسأل الله تعالى أن ييسر نشره لينتفع به وأن يجزي جامع المتن وشارحه خير الجزاء وأن ينفعه به في الحياة وبعد الممات ومن جمعه ونشره وقرأه ونظر فيه وأن يتقبل منا أجمعين إنه سميع الدعاء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كاتبه

عمر بن إبراهيم التويجري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين.

أحمده سبحانه وأشكره. وأستعين به وأستغفره وأتوب إليه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فنسأل الله تعالى الإعانة والتسديد، كما نسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص لوجهه الكريم فيما عزمنا عليه من شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلم.

ومتن هذه الواجبات في هذا الكتاب: قد جمعته من كلام أهل العلم من مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى ومن غيرها وذلك أنه طلب مني بعض طلاب العلم أن أجمع متناً مختصراً مفيداً نافعاً في التوحيد والعقيدة، متناً يستعين به الطالب المبتدئ، ولا يستغني عنه الراغب المنتهي، مع ما رأيت من حاجة الناس إلى هذا العلم الواجب، فيسّر الله تعالى لي أن جمعت هذا المتن في التوحيد والعقيدة فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه لا أحصي ثناء عليه.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا المتن وشرحه، ويبارك فيه وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ويتقبله مني إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

قال ذلك عبدالله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي

قال عفى الله عنه: الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها، هي معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ.

قوله: الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ.

نعم يجب على العبد معرفة ذلك لقوله تعلى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف آية ٨٦]. أي يعلمون بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم.

وقد ذكر أهل العلم أن الله تعالى إذا أمر العبد بأمر وجب عليه فيه: سبع مراتب.

الأولى: العلم به.

الثانية: محبته.

الثالثة: العزم على الفعل.

الرابعة: العمل به.

الخامسة: كونه يقع على المشروع خالصاً صواباً.

السادسة: التحذير من فعل ما يحبطه.

السابعة: الثبات عليه.

وكذلك يدل على وجوب معرفة العبد لربه ودينه ونبيه بعلم ويقين ما جاء في السنة.

عن البراء رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من ا لأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكث في الأرض، فجعل ينظر

إلى السماء وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً، ثم قال: أن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط فذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام آية ٦١].

ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب، وفي لفظ ما هذه الروح الطيبة فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمون بها في الدنيا، حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى تنتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين آية ١٩-٢١]. فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيرد إلى الأرض وتعاد روحه في جسده قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولو عنه مدبرين، فيأتيه ملكان فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينتهره فيقول: من ربك ما دينك وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم آية ٢٧]. فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا عليه باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه وفي رواية: يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فو الله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله بطيئاً في معصية الله فجزاك الله خيراً، ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال له: اسكن.

قال: وإن العبد الكافر وفي رواية الفاجر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد سود الوجوه معهم المسوح من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث، وفي لفظ ما هذه الروح الخبيثة فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: آية ٤٠].

فقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج آية ٣١]. فتعاد روحه في جسده قال:

فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه، ويأتيه ملكان شديداً الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: فما في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه فيقال: محمد فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك قال: فيقال: لا دَرَيت ولا تَلَوت فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه وفي رواية: ويمثل له رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فو الله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً على معصية الله، فجزاك الله شراً. ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً فيضربه ضربةً حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربةً أخرى فيصيح صيحةً يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، ويمهد من فراش النار، فيقول: (رب لا تقم الساعة). رواه أحمد وأبو داود وهو حديث صحيح.

قوله في الحديث: لا دريت ولا تلوت أي لا علمت، ولا اتبعت، أو ولا تعلمت.

وقال عفا الله عنه: فإذا قيل لك من ربك؟: فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

قول المصنف: إذا قيل لك من ربك: أي من إلهك الذي تعبد، وليس المقصود من خلقك ورزقك، هذا قد أعترف به المشركون، لكن معناه من إلهك الذي تعبد، فقل ربي الله، والله هو المألوه المعبود، فمعنى الإله، هو الذي تأله القلوب محبة وإنابة ورجاء وتوكلاً وغير ذلك، والله ذو الإلوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وأعرف المعارف اسم (الله) جل جلاله، وهذا الاسم من خصائص الله عز وجل: ولا يشاركه فيه أحد، بحق.

فمثلاً اسم، الرحيم، من أسماء الله تعالى وصفاته، ويجوز للمخلوق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل آية ٤٧].

وقال تعالى في صفة النبي ﷺ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة آية ١٢٨].

أما اسم الله: فلا يجوز لأحد أن يتسمى به، ولا يستحقه إلا الله جل جلاله.

وقوله الذي رباني: يعني الله الذي رباني، وربى جميع المخلوقات، من الإنس والجن من مؤمن وكافر، من يعقل ومن لا يعقل، فالله سبحانه هو الذي أوجدهم من العدم ورباهم بالنعم.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود آية ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ﴾ الآية [الأنعام آية ٣٨].

وتربية الله لعباده خاصة وعامة، كما أن رزقه سبحانه خاص وعام، فمن هداه الله للإسلام والعمل به فقد حصلت له التربية الخاصة والعامة ورزق رزقاً خاصاً وهو رزق القلوب ورزقاً عاماً وهو رزق الأبدان.

وأما التربية العامة والرزق العام فهو لجميع العالمين المؤمن منهم والكافر الذي يعقل ومن لا يعقل.

ولا يطلق (الرب معرفا) إلا على الله عز وجل وحده.

قوله العالمين: قيل لا يسمى من العالمين إلا من يعقل وقيل هم من يعقل ومن لا يعقل كما في قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء آية ٢٣-٢٤].

وقول المصنف: وهو معبودي ليس لي معبود سواه أي أني أعبد الله وحده وأخلص له العبادة وحده وليس لي معبود سواه أي لا أعبد أحداً سوى الله عز وجل.

وقوله عفى الله عنه: فإذ قيل لك ما دينك فقل ديني الإسلام: وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

أي إذا قيل لك ما دينك فقل ديني الإسلام وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله أي لما كان الاستسلام لله بدون قيد قد يفعله اليهود والنصارى والمشركون فإنهم يستسلمون لله تعالى ويستسلمون لغيره أي يدعون الله تعالى ويدعون غيره، ويسجدون لله ويسجدون لغيره ويذبحون لله ويذبحون لغيره، ويؤمنون بالله وبرسله، ولكن لا يشهدون أن نبينا محمداً ﷺ رسولٌ إليهم، وإلى الناس أجمعين بل ينكرون ذلك.

ولذا قال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم.

وبهذا التقيد خرج اليهود والنصارى والوثنيون عن الإسلام أي بقول المصنف (بالتوحيد).

وقد أمر الله تعالى أن نستسلم له وحده بقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر آية ٥٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾ [الحج آية ٣٤].

ومعنى أستسلم: أي ذل وخضع لله بأفراده بالربوبية والخلق والتدبير وبإفراده بجميع أنواع العبادة وهو توحيد الإلهية مشتق من التسليم للمنية أو من المسالمة وهو ترك المنازعة.

فعلى العبد أن يستسلم لله استسلام عبادةٍ ومحبةٍ وذلٍ وخضوعٍ وخشوعٍ لله تعالى وحده لا شريك له قال ابن القيم رحمه الله تعالى.

فلواحدٍ كن واحداً في واحد أعني سبيل الحق والإيماني

قول ابن القيم: (فلواحد) أي لله عز وجل وهذا هو توحيد المراد (كن واحداً) في عزمك وصدقك وإرادتك وهذا هو توحيد الإرادة. (في واحد) أي في متابعة الرسول الذي هو طريق الحق والإيمان فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح ولا ينقص من كماله وسعادته إلا بقدر نقص واحد منها.

أما الجملة الثانية من تعريف الإسلام: فهي (الانقياد له بالطاعة) وهذه كالتي قبلها قال الانقياد له وقيد ذلك بالطاعة.

فإنه يوجد من ينقاد لله، لكن بغير طاعة كانقياد النصارى برهبانيتهم وانقياد الوثنيين في تعبدهم، لكن لا ينفعهم هذا الانقياد، لأنه بغير طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

ولذا جاء في الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ: «**مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه**» رواه البخاري.

ففي هذا الحديث بيان الانقياد الذي بالطاعة والانقياد الذي ليس بطاعة فالقيام والوقوف بالشمس وعدم الكلام ليس بطاعة لله.

ولذا قال النبي ﷺ: «**مروه فليتكلم وليستظل وليقعد**»، وأما الصوم فإنه عبادة وطاعة فقال ﷺ: «**وليتم صومه**».

وكذلك ما جاء في الحديث: عن أنس رضي الله عنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فاصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم**

وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه.

وهذا الحديث فيه دلالة على أن الانقياد لا يكون صحيحاً، إلا إذا كان بطاعة الله ورسوله وليس بالتشديد على النفس ولا بالتساهل في الدين وإنما هو بإتباع الرسول ﷺ لقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»

ففي هذا تنبيه على بطلان ما تفعله الرافضة من الأشياء التي لم تشرع فإنهم يضربون أنفسهم ضرباً شديداً وينوحون ويبكون على أشياء ما أمروا بها بل أحدثوها من عند أنفسهم.

وكذلك ما يفعله فرقة الاباضية من البدع في الصلوات وغيرها على الكيفية التي ابتدعوها من عند أنفسهم وليس لها أصل من السنة.

وكذلك المبتدعة من الصوفية يأتون بأذكار كترديد الله الله أو قولهم هو هو هو وهذا الذكر باطل لأن المشروع قول لا إله إلا الله أو سبحان الله أو الحمد لله ونحو ذلك مما صح عن رسول الله ﷺ.

وكذلك احتفالهم بمولد النبي ﷺ بدعة لا أصل له.

وما يفعله المبتدعة في ليلة الإسراء والمعراج على زعمهم وكذلك ما يعملون في رجب مما لم يصح في سنة رسول الله ﷺ ويزعمون أنه عبادة وطاعة لله وهو عمل باطل لأنه من البدع في الدين ولا يجوز فعله.

لقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى آية ٢١].

أما الجملة الثالثة من تعريف الإسلام: فإنها البراءة من الشرك وأهله، وهذا أصل عظيم جداً، وهو الولاء والبراء، والمولاة في الله والمعادة في الله.

لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة آية ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة آية ٤].

وفي الحديث عن البراء بن عازب، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**» رواه البخاري.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا رواه ابن جرير

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدل على أهمية هذا الأصل وعلى خطورة موالاة المشركين، وعدم البراءة منهم ومن شركهم.

كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة آية ٥١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة آية ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [الممتحنة آية ١].

فتجب البراءة من الشرك وأهله ولا يكفي المسلم العمل بالتوحيد حتى يتبرأ من الشرك ومن أهله ويبغض الشرك وأهله ويعتقد بطلانه ويحب التوحيد وأهله ويعتقد أن الإسلام هو الحق وما سواه فإنه باطل.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران آية ٨٥].

قال عفى الله عنه: فإذا قيل لك من نبيك فقل محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد.

أي إذا قيل لك من نبيك، وذلك أن معرفة هذا الأصل أصل من أصول الدين لأنه ﷺ هو الواسطة بيننا وبين ربنا في تبليغ الرسالة وتبليغ هذا الدين العظيم، والهداية إلى الصراط المستقيم، والهداية إلى سعادة الدارين، والنجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ولا طريق لنا ولا معرفة لنا بما ينجينا من غضب الله وعقابه ويقربنا من رضي الله تعالى وثوابه إلا بما جاء به نبينا محمد ﷺ ولهذا تحتمت معرفته ﷺ وصارت أصلاً ثالثاً إذ لا يمكن معرفة المُرسِل إلا بمعرفة رسوله، فصار من الضروريات معرفته ﷺ ولأن معرفته ﷺ من أقوى الأسباب الجالبة لمحبته ﷺ وتجريد متابعته.

وأما أهل الغلو في الدين فأنهم أحدثوا احتفالاً لمولده عليه الصلاة والسلام وهذا لم يأذن به الرسول ﷺ ولم يأمر به ولم يعمله أصحابه من بعده، وهو من البدع في الدين، وأشد وأشنع إذا كان في الاحتفال دعاءٌ واستغاثة به ﷺ فهذا من الشرك الأكبر كما هو مذكور في قصيدة البوصيري (البردة) ومن ذلك قوله:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العَمِمِ
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقَلَمِ
إن لم تكن آخذاً يوم المعاد بيدي ... عفواً وإلا فقل يا زلة القَدَمِ

إلى آخر ما في القصيدة من المخالفة والأمور الشركية.

والفرق بين البوصيري المحدث وصاحب قصيدة البردة المشار إليها في هذا هو أن صاحب القصيدة هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي أصله من المغرب ولد في مصر، سنة ٦٠٨ صوفي من أهل الطرق له ديوان شعر واشتهر بالبردة التي احتوت على شركيات مات بالإسكندرية سنة ٦٩٦هـ.

وأما الثاني البوصيري المحدث، فهو أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري نسبة إلى بوصير من أعمال بنى سويق بمصر، ولد في محرم سنة ٧٦٢ من شيوخه الحافظ العراقي والحافظ ابن حجر.

له مؤلفات منها مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه توفي سنة ٨٤٠هـ.

رجعنا إلى ما تقدم من التحذير من المبتدعة ومن على طريقتهم وشاكلتهم لأنهم أحدثوا في الدين ما لم يأذن به الله وغلو في الرسول ﷺ بشيء لا يرضاه وأفرطوا في ذلك بشيء نهى عنه كما في قوله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله**» رواه البخاري.

وقال ﷺ: «**إياكم والغلو فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين**». رواه أحمد.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة آية ٧٧].

وبأزاء هؤلاء الغلاة الذين غلو في حب الرسول ﷺ وابتدعوا بإزائهم قوم جفوا محبة نبينا محمد ﷺ وأعرضوا عنها فلا تمرّ على قلوبهم

ومحبة الرسول ﷺ واجبة لا يجوز التقصير فيها ولا الإعراض عنها لقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

نعم محبة الرسول ﷺ واجبة: يزيد الإيمان بزيادتها، وينقص بنقصانها، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة آية ٢٤].

وفي شهادة أن محمداً عبدالله ورسوله دفع للإفراط والتفريط والغلو والجفاء

ففي شهادة أنه عبد عليه الصلاة والسلام دفع للغلو في محبته والإفراط وفي شهادة أنه رسول الله دفع للجفاء والتفريط، في محبته ﷺ والإعراض عنها

ولمحبة الرسول ﷺ ثمرات: منها محبة العبادة والسرور بها والأنس بها كما أن الإنسان إذا أحب شخصاً أحب أمره وسهل عليه وكره مخالفته المهم أن يعرف المسلم رسول الله ﷺ ودعوته وحسبه ونسبه وهجرته وأخلاقه وسيرته فإن ذلك من أقوى الأسباب الجالبة لمحبة الرسول ﷺ.

قوله: هو محمد بن عبدالله: أي هذا أشهرها، كما في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ الآية. [الأحزاب آية ٤٠]. وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ الآية. [الفتح آية ٢٩].

وإلا فله ﷺ عدّة أسماء كما جاء في الحديث الصحيح: عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لي خمسة أسماء: أنا محمّد وأحمد وأنا الماحي الّذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الّذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**» رواه البخاري.

وفي رواية لمسلم والعاقب الذي ليس بعده نبي.

قوله: ابن عبدالمطلب، واسم عبدالمطلب شيبة الحمد بن هاشم وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

فإن قال قائل كيف يكون إسماعيل من العرب ووالده ليس منهم؟ فالجواب أن العرب على قسمين عرب عاربة وعرب مستعربة فإسماعيل من العرب المستعربة فإن إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر جعلها إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام عند مكان بيت الله الكعبة فيسر الله له ولأمه ماءَ زمزم فأتت العرب إليهم يريدون الماء فنزلوا عندهم فشب إسماعيل فتزوج من العرب واستعرب فصار عربياً.

والعرب العاربة قحطان والمستعربة عدنان وهم أفضل من العرب العاربة كيف ومنهم النبي ﷺ وهو القائل إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم رواه مسلم.

وأسمائه ﷺ مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال.

وله ﷺ من العمر ثلاث وستون سنة ولد عام الفيل وتوفي أبوه عبدالله وهو حمل وكان عند جده ثم عمه أبي طالب وتزوج خديجة رضي الله عنها وله خمس وعشرون سنة ومنها أولاده إلا إبراهيم فمن ماريه، وكان يسمى الأمين قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام منها أربعون قبل النبوة

لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم امر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثلاث وستون سنة وهذا قول جماهير أهل العلم، بسيرة الرسول ﷺ.

قال يحيى الصرصري:

وأتت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان

وأما ما روي ما نبئ نبي إلا بعد الأربعين، فإنه ليس بحديث ثابت بل عده ابن الجوزي من الموضوعات.

وثلاث وعشرون نبياً رسولا نبئ بإقرأ وأنزل عليه يوم الاثنين والمشهور انه أنزل عليه في رمضان بغار حراء أول سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ كما في الحديث.

عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال:

ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني.

فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [إقراء آية ١-٣].

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن عم خديجة، وكان امرأً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال ﷺ: أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحي. رواه البخاري ومسلم.

وأرسل بالمدثر أي بصدر سورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر آية ١-٤]. بعد فترة الوحي.

كما في الحديث: عن جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قِبَل السماء فإذا الملَك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئت منه حتى هويت إلى الأرض، فرجعت إلى أهلي فقلت زملوني زملوني، فانزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر آية ١-٥] رواه البخاري و مسلم.

والنبي ﷺ بلده مكة حيث نشأ فيها فكان له ولآبائه وأجداده وأعمامه مكانة في أهل مكة ولد بها عليه الصلاة والسلام، في شعب علي، ونشأ بها إلا ما كان منه، وهو مع مرضعته السعدية في البرية ثم رجع إليها في حضانة جده ثم عمه وأوحى إليه بها، أي مكة، وبقي بها ثلاث عشرة سنة، بعد أن أوحى الله إليه. ثم هاجر إلى المدينة أي بعد أن هموا بقتله ﷺ، فتغيب في الغار، ثم سار هو وأبو بكر مهاجراً إلى المدينة، وذلك بعد أن بايعوه على النصرة والمؤازرة وأرّخت الأمة، من مهاجره ﷺ.

قال عفى الله عنه: بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد: والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر آية ١-٧].

قوله: بعثه الله بالنذارة عن الشرك... الخ: أي أن الله جل وعلا بعثه أي أرسله إلى الناس جميعا، ينذر وينهى عن الشرك ويدعو إلى التوحيد يعني إلى إفراد الله بالعبادة وتوحيد الله بالعبادة، وهذه هي دعوة الرسل ينذرون

ويبشرون كما قال عز وجل: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء آية ١٦٥]. وقال عز وجل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ ﴾ الآية. [فاطر آية ٢٤]. ينذر من خالف أمر الله ويبشر من أطاع الله ورسوله قال عز وجل: ﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء آية ١٥].

وقال عز وجل: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ ﴾ [الأنعام آية ١٩].

ومعنى: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ أي عظمه بالتوحيد ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ أي طهر أعمالك عن الشرك. ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ الرجز الأصنام وهجرها تركها والبراءة منها وأهلها

أخذ على هذا عشر سنين، يدعو إلى التوحيد وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين. وبعدها أمر بالهجرة، إلى المدينة.

قال الله عنه: المسائل الأربع

قوله: يجب علينا تعلم أربع مسائل: نعم يجب علينا تعلم أربع مسائل: أي يجب على كل بالغ عاقل قادر من ذكر وحر وعبد وغني وفقير وتاجر ومزارع كل هؤلاء يجب عليهم معرفة هذا العلم في هذه المسائل.

الأولى: العلم: وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

قوله الأولى العلم: وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة: نعم الدليل على وجوب معرفة ذلك بالأدلة، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف آية ٨٦].

يعلمون بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم، وهذا من أقوى الأسباب على الثبات على الحق والتمسك بهذا الدين في الحياة الدنيا وبعد الممات، وفي سؤال القبر وما بعده كما سيأتي في حديث أنس رضي الله عنه المذكور قريباً، فإن الإنسان إذا دخل في هذا الدين بعلم وبصيرة لم يحصل له بالتشبيه شبهة ولا بالتشكيك شك، وإن حصل عنده ريب، دفعه بالعلم المنافي للجهل وباليقين المنافي للشك والريب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات آية ١٥].

والدليل من السنة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار

قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح في قبره ثم رجع إلى حديث أنس قال وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين». رواه البخاري وغيره.

فإذا كان الإنسان سيسأل في قبره عن ربه ونبيه ودينه: ويقال له ما علمك بهذا... الخ. كما في هذا الحديث.

فإنه يجب على العبد معرفة ذلك بعلم كما أن العبد إذا عرف ربه بعلم أحبه جل وعلا وأخلص له العبادة، وإذا عرف نبيه بعلم وما وهبه الله تعالى من الأخلاق الحسنه والصفات الحميدة والأفعال الكريمة كان هذا من اقوي الأسباب الجالبة لمحبة الرسول ﷺ وإذا أحبه ﷺ محبة إيمان وعبادة أحب أوامره وكره ما نهى عنه ﷺ وجرد متابعته للرسول ﷺ وإذا عرف الإسلام بعلم وما شرع الله فيه من الحق واليسر والتيسير ورفع الحرج أحبه وتمسك به وعض عليه بالنواجذ قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ الآية [البقرة آية ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء آية ٢٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾.

كما أن طلب العلم الشرعي من أفضل الأعمال: قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته» وقد ذكر الله عز وجل في

القرآن العظيم: فضل العلم والعلماء العاملين وكذلك في سنة رسول الله ﷺ كقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران آية ١٩]. فإن الله تعالى استشهد بأولى العلم على أعظم مشهود به في هذه الآية.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر آية ٩]. وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [قد سمع آية ١١].

وفي الحديث: قال حميد بن عبدالرحمن: سمعت معاوية خطيبًا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**» رواه البخاري ومسلم.

وقال النبي ﷺ: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقا إلى الجنة**». رواه مسلم.

وقال النبي ﷺ: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء**» رواه أبو داود وسنده صحيح

الثانية: العمل به:

قول المصنف: الثانية العمل به: نعم العمل بالعلم هو ثمرة العلم فإن الذي لا يعمل بعلمه ورد فيه وعيد شديد.

كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ إن أول من تسعر بهم النار نعوذ بالله من النار وأول الناس يقضى عليه يوم القيامة وذكر منهم

«رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن: قال كذبت: ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القي في النار» الحديث رواه مسلم

كان أبو هريرة رضي الله عنه، إذا حدث بهذا الحديث ينشغ ثلاث نشغات ويجثو على ركبتيه ثم يحدث هذا الحديث خوفا من الله عز وجل.

قوله: ينشغ أي يشهق.

وقد ورد في الحديث عنه ﷺ: من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها رواه أحمد.

قال أحمد شاكر إسناده صحيح وقال ابن تيمية أسانيده صحيحه وقال النووي إسناده صحيح.

ولا ريب أن ثمرة العلم هي العمل، وإلا ما فائدة من لا يعمل بعلمه يكون كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه.

وفي الحديث عَنْ أسامة بن زيد قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَفْزَعُ لَهُ أَهْلُ النَّارِ فَيَجْتَمِعُونَ لَهُ فَيَقُولُونَ لَهُ يَا فُلانُ مَا لَقِيتَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَلا أَنْتَهِي» رواه البخاري وغيره.

وكان الصحابة ﷺ إذا تعلموا عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعلموا معانيهن ويعملوا بهن.

الثالثة: الدعوة إليه:

قوله: **الثالثة الدعوة إليه**: أي الدعوة إلى الله كما أمر الله الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن اتبعهم قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف آية ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية. [فصلت آية ٣٣].

يدعو إلى الله لا إلى حظ نفسه: أي أنه يدعو الناس إلى عبادة الله والإخلاص لوجهه أو أنه يدعو الناس إلى عبادة الله لا يريد شيئا من الدنيا وإنما يريد الأجر والثواب من الله عز وجل.

والرسول ﷺ قد جمع هذين المعنيين، في الدعوة إلى الله فإنه ﷺ يدعوا الناس إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً. ويدعوا إلى الله تعالى مخلصاً لوجهه الكريم لا إلى حظ نفسه وإنما يريد الله والدار الآخرة وكذلك من اتبعه.

كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الفرقان آية ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى آية ٢٣].

وقوله على بصيرة: أي أنه ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة ومن اتبعه أو أنه على بصيرة ومن اتبعه.

والبصيرة المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل فهي بصر القلب نسأل الله تعالى أن يرزقنا البصيرة.

وقد ورد في فضل الدعوة إلى الله قوله ﷺ «من دعا إلى هدى كان له من الأجور مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا» رواه مسلم وغيره.

وقوله ﷺ، لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» رواه البخاري.

وقول النبي ﷺ: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع» الحديث رواه البخاري.

والدعوة إلى الله تعالى لا يشترط أن تكون بالوعظ الجماعي والتذكير بل بهذا وغير ذلك، وهذا منها لكن هناك من أنواع الدعوة إلى الله ما هو أسهل وهو أن تدعو أخاك أو زميلك أو ولدك وأهلك أو أحدا ممن تراه يحتاج للتذكير والوعظ تدعوه إلى الله تعالى وإلى طلب العلم أو إلى العمل بحديث صح عن النبي ﷺ أو تكون دعوته بالتحذير من المنكر وفعله وأفضل ذلك كله الدعوة إلى الله بتعليم التوحيد والتحذير من الشرك فأبو بكر رضي الله عنه دعى من يجالسه دعى طلحة بن عبيد الله وغيره من العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم دعاهم إلى توحيد الله والإيمان برسول الله فأسلموا رضي الله عنهم وأرضاهم فيحرص الإنسان على الدعوة إلى الله، ولا ينتصر لنفسه ولا يدعوا لحظ نفسه، ولا يدعو لحزب دون حزب ولا إلى ناس دون ناس، وإنما يدعوا إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وفيه كلام لابن تيمية رحمه الله تعالى ومعناه أن من دعى إلى أحد دون أحد بمجرد الهوى يكون فيه شبهٌ من الرافضة الذين يعظمون أئمتهم ويحذرون من غيرهم.

وكذلك غلاة الصوفية الذين يأخذون عمن يعظمون ولا يأخذون عن غيرهم ولو كان معهم الحق.

فعلى المسلم أن يحرص على أن يتبع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح بالدعوة إلى الله والصبر والمصابرة والمرابطة بالله ولله ومع الله.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه:

قوله: الرابعة الصبر على الأذى فيه: أجلَّ كل عمل يحتاج إلى صبر، لاسيما الدعوة إلى الله، فإن الإنسان يحتاج إلى مجاهدة والمجاهدة تحتاج إلى احتساب، والاحتساب يحتاج إلى صبر، قال علي رضي الله عنه الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، فكما أن الجسد لا يقوم إلا بالرأس، كذلك الدين لا يقوم إلا بالصبر.

والناس على أنواع: منهم من عنده علم ولا يعمل ولا يدعو ولا يصبر ومنهم من عنده علم ويعمل ولا يدعو ولا يصبر ومنهم من عنده علم ويعمل ويدعو ولا يصبر ومنهم من عند علم ويعمل ويدعو ويصبر وهذا النوع هو من أفضل المتبعين لهدي رسول الله ﷺ الذين علموا وعملوا ودعوا إلى الله تعالى وصبروا.

والصبر أجره عظيم: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر آية ١٠].

والصبر ثلاثة أقسام:

الأول: الصبر على طاعة الله

الثاني: الصبر عن محارم الله

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة

واعلم أن الصبر المحمود الذي يثاب عليه العبد هو الصبر لله وبالله ومع الله.

١- الصبر لله: هو الصبر ابتغاء وجه الله عز وجل، ولا يصبر من أجل أن يظهر قوته وتجلده للناس بل يرجو ما عند الله تعالى، لا إظهاراً لقوة النفس، والاستحماد إلى الخلق، وغيرهما من أمور الدنيا، بل الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة وجهه والتقرب لله.

٢- الصبر بالله: فهو الاستعانة بالله تعالى على الصبر ولا يعجب الإنسان بنفسه ويقول أن أقوى على الصبر بل يسأل الله تعالى الإعانة، كما قال الله لنبيه، ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النحل آية ١٢٧].

فإنَّ صبر العبد بربه لا بنفسه، يعني إن لم يصبرك الله لم تصبر.

٣- الصبر مع الله: وأما الصبر مع الله، فهو صبر على طاعة الله، وطاعة رسوله، لا في الأشياء المبتدعة في الدين كما يفعل الروافض في صبرهم على ضربهم لأنفسهم، ولا في الاحتفالات المبتدعة كالاحتفال بمولد النبي ﷺ بل إن الصبر مع الله، هو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها، مقيماً بإقامتها، يتوجه معها أين

توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها، فيحرص العبد أن يكون عمله صواباً، مخلصاً فيه لله تعالى، ويسأل ربه القبول والثبات وحسن الخاتمة، فكم إنسان مصيب لكنه ليس بمخلص، أو يكون مخلصاً لكنه لا يثبت، وكان من دعاء النبي ﷺ **«اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد»** وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام إنه كان يدعوا ويسأل ربه القبول فيقول: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة آية ١٢٧].

وهو مخلص لله محسن في فعله قد امتثل ما أمره الله به عليه الصلاة والسلام ومع هذا يسأل ربه أن يتقبل منه.

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر آية ١-٣].

هذه السورة، دليل على وجوب تعلم المسائل الأربع، لأن كل قول يحتاج إلى دليل من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، فقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ الواو واو القسم والعصر هو الدهر، وذلك دليل على أهميته وكل شيء أقسم الله به دليل على أهميته ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ اسم جنس يشمل كل إنسان من ذكر وأنثى ﴿لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ أي خسارة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر آية ١٥].

لأن الخسارة الحقيقية هي خسارة الآخرة لأن الخسارة في الدنيا تجد أحداً يساعدك فتنجبر خسارتُك في دنياك.

أما الخسارة في الآخرة: فإنك لا تجد أحداً ينفعك ولا أحداً يعطيك ولا أحداً يرحمك، تأتي إلى أمك أو إلى أبيك كل يقول نفسي نفسي كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس آية ٣٤- ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا دليل العلم. ﴿وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، هذا دليل العمل. ﴿وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ﴾، هذا دليل الدعوة إلى الله، ويوصي بعضهم بعضاً بالحق والثبات عليه وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على العلم والعمل والدعوة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران آية ٢٠٠].

عن أبي مدينة رضي الله عنه قال كان الرجلان من أصحاب محمد ﷺ إذا التقيا ثم أرادا أن يفترقا قرأ احدهما ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ حتى يختمها ثم يسلم كل واحد منهما على صاحبه. رواه أبو داود في الزهد، والطبراني في الأوسط وصححه، الألباني في صحيحه.

قال عفى الله عنه: المسائل الثلاث

قوله الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل آية ١٥-١٦].

قوله أن الله خلقنا: أي أنه سبحانه هو الذي خلق جميع المخلوقات من يعقل ومن لا يعقل فكل ما في السموات والأرض وما بينهما الكل قد خلقه الله تعالى وأوجده.

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور آية ٣٥-٣٧]. (قال كاد قلبي أن يطير).

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ الآية. [النساء آية ١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ

عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج آية ٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق آية ١٦].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون آية ١٢-١٤]. وغير ذلك من الآيات التي ذكرها الله عز وجل.

قوله: ورزقنا: أي أن الله سبحانه لما خلقنا رزقنا فإن الله سبحانه هو الرزاق قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات آية ٥٨].

فإن الله تعالى رزق جميع خلقه المؤمن منهم والكافر من يعقل ومن لا يعقل من الحيوانات والدواب وسواء كان الكسب من الحلال أم من الحرام فهو من رزق الله لكن يثاب العبد على الحلال، ويعاقب على الحرام.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود آية ٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت آية ١٧].

ورزق الله عام وخاص:

فالعام: هو رزق جميع الخلق.

وأما الخاص: فهو رزق القلوب: العلم والهدى والإيمان فإن هذا الرزق يمنّ به على من يشاء من عباده كما في قوله تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران آية ٧٤].

وقوله: (ولم يتركنا هملا) أي أنه سبحانه أمرنا ونهانا وعلمنا ما لم نكن نعلم كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل آية ٧٨].

فقد منَّ الله علينا بالعلم والمعرفة، وعلمنا ما لم نكن نعلم وذلك بإرسال الرسول محمد ﷺ، وإنزال الكتاب قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران آية ١٦٤].

فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص آية ٢٩]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان آية ١].

وقال النبي ﷺ في خطبته في حجة الوداع «**ألا هل بلغت اللهم فاشهد**» فأشهد أنه ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد حق في الله حق

جهاده وترك أمته على البيضاء ليلها كنارها ﷺ فمن أطاع الرسول محمداً ﷺ وعمل بالقرآن دخل الجنة ومن عصاه فقد تُوعَد بدخول النار ثم استدل المصنف بقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل آية ١٥-١٦].

وبيلا يعني شديداً أي يحذرنا الله لئلا نكون كما كان قوم فرعون عصوا موسى عليه السلام فأخذهم الله وعاقبهم، فأنتم آمنوا بالرسول ﷺ واتبعوه ولا تكونوا كما كانوا فيأخذكم كما أخذهم، ويعاقبكم كما عاقبهم.

قال المصنف عفى الله عنه: الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن آية ١٨].

وقوله الثانية: أن الله لا يرضى: أي أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، لأنه سبحانه غني بذاته لا يحتاج إلى شيء من عمل خلقه. قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ الآية [الزمر آية ٧].

وفي هذا إثبات صفة الرضى لله عز وجل على ما يليق به سبحانه كسائر صفاته خلافاً للأشاعرة والمعتزلة والجهمية، الذين ينكرون هذه الصفات ويتأولونها على غير المراد منها، ولا شك أن مذهبهم مذهب باطل لمخالفتهم لما رضيه الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ.

وقوله: (أن يشرك معه) أي أن يتخذ معه شريك والشرك مساواة غير الله في الله، فيما هو من خصائص الله، أو دعوة غير الله مع الله.

وقوله: (لا ملك مقرب) كجبريل عليه السلام (ولا نبي مرسل) كمحمد ﷺ

فإن الله سبحانه لا يقبل عبادة من يشرك معه في عبادته أحدا لأنه سبحانه غني بذاته ليس بحاجة إلى عبادة خلقه، كما في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» رواه مسلم.

فالله سبحانه ليس بحاجه إلى عمل عبده وإنما العبد هو الذي بحاجة إلى ربه، كما في الحديث القدسي.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم و آخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم و آخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص

ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه رواه مسلم.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾.

قوله وأن المساجد هي أماكن العبادة (لله) والأرض كلها لله تعالى ولكن خصصت بالذكر لأنها مخصصة للعبادة وقيل المساجد الأعضاء التي لا يصح السجود إلا بها، وهي الجبهة مع الأنف واليدان والركبتان وأطراف القدمين ولا مانع أن يقال بهما.

قال عفى الله عنه: الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب.

والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة آية ٢٢].

قوله الثالثة: أن من أطاع الرسول ﷺ ووحد الله أي أن من تبع الرسول ﷺ ووحد الله تعالى بالعبادة واجتنب الشرك.

بقي عليه شيء ثالث: وهو الولاء والبراء. والموالاة في الله والمعاداة فيه. يجب عليه أن يحب التوحيد وأهله ولو كانوا بعيدين عنه بالنسب ويبغض الشرك وأهله ولو كانوا من أقاربه وأرحامه لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

فيجب على المسلم أن يبغض الكفار ولا يتولاهم ولو كان أقرب قريب يعني ولو كان المحادُّ لله ولرسوله ﷺ من آبائه أو أبنائه أو عشيرته لا يجوز له توليه ولا موالاته وقد نهانا الله تعالى أن نتخذهم أولياء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [الممتحنة آية ١].

وقال تعالى: ﴿ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة آية ٥١].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة آية ٤].

❁ ❁ ❁

أصل الدين وقاعدته أمران

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له: والتحريض على ذلك، والموالاة فيه وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله: والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله.

قوله رحمه الله تعالى: أصل الدين وقاعدته أمران:

قوله الأصل: معناه لغة: أساس الشيء، أو ما يبني عليه غيره، كأساس المنزل، وأصل الشجرة ونحو ذلك.

قوله رحمه الله: [الدين] في اللغة الذل والخضوع. والمراد به دين الإسلام، وطاعة الله وعبادته وتوحيده واجتناب الشرك، وطاعة الرسول ﷺ وأتباعه.

وبهذا تعلم أن معنى [أصل الدين] قاعدته وأساسه الذي يصح به الإسلام.

قوله أمران: الأمر يأتي على معاني، والمراد هنا، هو الشأن، والفعل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ [هود آية: ٩٧].

أي: [وما فعل فرعون وشأنه برشيد] ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور الآية ٦٣]. أي: عن سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته.

قوله رحمه تعالى:

الأول: الأمر بعبادة تعالى والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

قوله رحمه الله: الأمر بعبادة الله:

أي: الأمر الذي هو نقيض [النهي] ويجمع على أوامر، كقولك أفعل كذا على جهة الأمر والطلب، وهو مقابل النهي.

والمراد هنا، الأمر بعبادة الله تعالى. أي أن يعبد الله وحده لا شريك له، كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة آية ٢١] أي وحدوا الله بالعبادة.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النمل آية ٣٦].

وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء آية ٢٣].

ومعنى قضى أمر ووصى قولان ومعناهما واحد، وقوله لا تعبدوا فيه معنى، لا إله. وقوله إلا إياه فيه معنى، إلا الله، وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء آية ٢٥].

قوله والتحريض على ذلك: أي: الحثُّ على الأمر بعبادة الله تعالى وحث الناس على ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال آية ٦٥].

وقد أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بنداء أهل الكتاب وحثهم على العمل بلا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران آية ٦٤].

قوله والموالاة فيه: الموالاة هي الولاية التي هي ضدّ العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة، البغض والبعد، فتجب الموالاة في الدين، وتحرم معاداة المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. أي أهل رفق ومودة ومحبة ورحمة بالمؤمنين ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. أي أهل غلظة وشدة على الكافرين.

وقال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً**». رواه البخاري وغيره.

وقال النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضواً تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر**». رواه البخاري ومسلم.

وفي الحديث: أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

وفي الحديث أيضاً: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار.

قوله وتكفير من تركه: أي: تكفير من ترك التوحيد لأن التوحيد هو دين

الإسلام ، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران آية ٨٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران آية ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران آية ١٩].

ومن ترك التوحيد فعل الشرك، ومن فعل الشرك فقد ترك التوحيد، ولأنه إذا لم يقم الإيمان بالقلب حصل ضده وهو الكفر وهذا كالعلم والجهل إذا فقد العلم حصل الجهل وكذلك كل نقيضين زال أحدهما خلفه الآخر.

قوله رحمه الله: الثاني الإنذار عن الشرك: في عبادة الله.

قوله: «الإنذار عن الشرك» معنى الإنذار هنا هو التخويف والتحذير من خطر الشرك في عبادة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الفرقان: ٥١].

أي: منذراً ومخوفاً، قال تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك آية ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المدثر آية ٣٥-٣٦].

والإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالى: هو دين الرسل، أنذروا قومهم عن الشرك كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء آية ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحقاف آية ٢١].

والشرك، مساواة غير الله في الله فيما هو من خصائص الله تعالى. كما في قوله تعالى: عن المشركين ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء آية ٩٧-٩٨].

والشرك الأكبر ذنب عظيم لا يُغفر لمن مات عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء آية ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة آية ٧٢]. نعوذ بالله من النار نعوذ بالله من النار نعوذ بالله من النار.

ومن ضرر الشرك إنه محبط الأعمال، لمن مات عليه.

قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر آية ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام آية ٨٨].

ومن مات على الشرك الأكبر فإنه خالد مخلد في النار، أبد الآبدين ودهر الداهرين.

قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر آية ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم آية ١٧]. نعوذ بالله من عذاب القبر وعذاب النار.

وقوله رحمه الله في عبادة الله تعالى: وعبادة الله تعالى هي كل ما يحبه الله يرضاه من الأقوال والأعمال والظاهرة والباطنة.

فلا يجوز للعبد من جن وإنس أن يشرك في عبادة الله تعالى لا ملكاً مقرب ولا نبياً مرسلاً، فضلاً عن غيرهما، من أضرحة الموتى التي تعبد مع الله تعالى. كعبد القادر الجيلاني، وأحمد البدوي وزينب أو الحسين، أو العيدروس ونحوهم.

قوله رحمه الله تعالى: والتغليظ في ذلك:

أي: في الإنذار والتحذير من الشرك، والتغليظ خلاف الرقة ، كما في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾ [الذاريات آية ٥٠-٥١].

ولو لا التغليظ، لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ما جرى من الأذى العظيم، كما هو مذكور في السير مفصلاً.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾ فقال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد سلني من ما لي ما شئت لا أغني من الله شيئاً.

قوله والمعاداة فيه: المعاداة ضد الموالاة فتجب معاداة الشرك وأهل الشرك منهم والكفر وبغضهم والبراءة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ

وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [الممتحنة آية ٦٠].

وكما قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة آية ٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال آية ٣٩] والفتنة الشرك.

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة آية ٢٢].

وبهذا تعلم أنه لابد من معاداة الكفار والمشركين، وتفكيرهم وهذا هو مقتضى «لا إله إلا الله» كلمة الإخلاص، فلا يتم معناها، إلا بتكفير من جعل لله شريكاً في عبادته . كما في الحديث الصحيح من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله.

فقوله وكفر، بما يعبد من دون الله تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد، لم يعصم دمه وماله، فلا بد من نفي الشرك

في العبادة رأساً، والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى: عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف آية ٢٦-٢٧].

فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله وقال عنه عليه والسلام ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم آية ٤٨].

فيجب، اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما. كما قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة آية ٤].

وقوله رحمه الله تعالى وتكفير من فعله:

أي: تكفير من فعل الشرك، لأنه معلوم من الدين بالضرورة ولأنه لا يسع أحداً أن يجهل التوحيد الذي هو دين الأنبياء والمرسلين.

كما في قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى آية ١٣].

فيجب على المسلم أن يعتقد بطلان الشرك ويكفر أهله ويعاديهم.

وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: أن المخالف في ذلك أنواع فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع فقبل الشرك واعتقد ديناً، وأنكر التوحيد واعتقده باطلاً، وسببه الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة، من معرفة التوحيد وما بنا فيه الشرك والشديد وإتباع الأهواء وما عليه الآباء كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل، فرموا أهل التوحيد، بالكذب، والزور، والبهتان، والفجور، حجتهم، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء آية ٧٤].

وهذا النوع من الناس، والذي بعده، قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص، وما وضعت له، وما تضمنته من الدين، الذي لا يقبل الله ديناً سواه وهو دين الإسلام، الذي بعث الله به جميع أنبيائه، ورسله، واتفقت دعوتهم عليه، كما لا يخفي فيما قص الله عنهم في كتابه.

وقال رحمه الله تعالى: ومن الناس من عبدالله وحده، ولم ينكر الشرك، ولم يعاد أهله، ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم.

وقال: ومنهم من لم يحب التوحيد، ولم يبغضه، فلو رضي بما رضي به الله، وعمل به لأحبه، ولا بد من المحبة، لعدم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد.

فإن الإخلاص، محبة الله، وإرادة وجهه، فمن أحب الله أحب دينه، وما لا فلا، والمحبة يترتب عليها ما تقتضيه كلمة الإخلاص، من شروط التوحيد.

وقال: ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه. ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره، ومنهم من لم يعرف التوحيد، ولم ينكره، ومنهم وهو أشد الأنواع خطراً من عمل بالتوحيد، ولم يعرف قدره فلم يبغض من تركه، ولم يكفرهم ومنهم من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف قدره.

مراتب الدين الثلاث

قال عفى الله عنه: المرتبة الأولى الإسلام: وأركانه خمسة وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام.

قوله: (مراتب الدين) وذلك أن الدين له ثلاث مراتب وهي الإسلام والإيمان والإحسان وكل مرتبة لها أركان

المرتبة الأولى: الإسلام: وهو لغة الانقياد والإذعان.

وأما في الشرع فهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله وله حالتان:

الحالة الأولى: أن يطلق مفرداً غير مقترن بذكر الإيمان فهو حينئذٍ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران آية ١].

وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة آية ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران آية ٨٥].

الحالة الثانية: أن يرد مقترناً بالإيمان وهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات آية ١٤].

وكما في الصحيحين عن مسعر فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فو الله إني لا أراه إلا مؤمناً فقال رسول الله ﷺ أو مسلماً الحديث.

فالإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

والإسلام له أركان كما في الحديث الصحيح «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام**».

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله فعليك أن تتنبه لقوله: (حق) أي أنه يوجد من يعبد بالباطل كالذين يعبدون الموتى كأحمد البدوي وعبدالقادر الجيلاني ونحوهم، أو الذين يعبدون الأشجار والأحجار والشياطين

وقوله (حق): أي لا معبود بحق إلا الله سبحانه فإن الله جل وعلا هو الحق وما سواه هو الباطل.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج آية ٦٢].

وبهذا يُعلم غلط وخطاء من يقول إن معنى لا إله إلا الله أي لا معبود في الوجود إلا الله وهذا خطأ من وجهين.

الأول أنه يوجد في الوجود آلهة باطلة: تعبد مع الله كالذين يدعون ويستغيثون بالموتى ويذبحون لغير الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان آية ٣].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات آية ٨٦].

الثاني أعظم مما تقدم: وهو ما يعتقده أهل الوحدة والحلول والإتحاد من أن الوجود هو الله فكل ما عبده الإنسان من صنم أو حيوان أو شجر فهو يعبد الله على قولهم الباطل وهذا لا شك أنه كفر وضلال مبين.

فإن قال فمعناها لا معبود في الوجود (بحق) إلا الله فلا بأس، لأن المهم أن يأتي بحق لأنها خبر لا (فلا) نافية للجنس تعمل عمل إن تنصب المبتدأ وترفع الخبر، (إله) أسمها مبني معها على الفتح والخبر مقدر تقديره (حق) (إلا) أداة استثناء ملغاة (الله) بدل من (حق) وبدل المرفوع مرفوع.

وبمعرفة الإعراب يتبين لك أنك تنوي بقلبك إذا نفيت فقلت (لا إله) أنك ما تقصد جميع لأله وإنما تقصد بهذا النفي الآلهة الباطلة وتعلم أن المستثنى مخرج من المستثنى منه ومن حكمه فلا يدخل في المنفي حتى يستثنى منه ولا في حكمه حتى يخرج منه فتفطن لهذه المسألة فإنها مهمة جداً.

وشهادة أن لا إله إلا الله لا بد لقائلها من العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف آية ٨٦].

شهد بالحق: أي (بلا إله إلا الله) وهم يعلمون في قلوبهم بما نطقوا به بألسنتهم.

فلا بد من العلم بالمنفي والمثبت: فالمنفي الطاغوت والمثبت الإيمان بالله وحده سبحانه كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة آية ٢٥٦].

قوله في الحديث «وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة» وأنهما ركنان من أركان الإسلام الخمسة، التي لا يستقيم إسلام عبد إلا بهما، فالصلاة تجب على كل بالغ عاقل من ذكر وأنثى على حسب استطاعته ويؤمر بها من بلغ سن التمييز ويضرب عليها من بلغ عشر سنين والفرض خمس صلوات في اليوم والليلة.

كما جاء في الحديث: عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أهل نجد ثَائِرَ الرَّأْسِ، نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: خَمْس صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُا؟. قَالَ: لا، إِلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وصِيَامَ رَمَضَانَ قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟، قَالَ: لا إِلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزكاة، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟، قَالَ: لا إِلا أَنْ تَطَوَّعَ. فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لا أَزِيدُ علَى هَذَا وَلا أُنْقِصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ. رواه البخاري وغيره.

نعم هي خمس صلوات في اليوم والليلة: الفجر ركعتان والظهر أربع ركعات والعصر أربع ركعات والمغرب ثلاث ركعات والعشاء أربع ركعات ولا تسقط عن البالغ العاقل بحال من الأحوال سواء كان حاضراً أو مسافراً أو كان صحيحاً أو مريضاً أو كان قادراً على القيام أو غير قادر أو كان قادراً على

الوضوء أو غير قادر يتيمم وسواء كان قادراً على استقبال القبلة أو غير قادر. كل هؤلاء لا تسقط عنهم الصلاة بل يجب عليهم أن يؤدونها في وقتها على حسب استطاعتهم

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة آية ٢٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة آية ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [النمل آية ٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة آية ٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ الآية. [التوبة آية ١١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ الآية. [النساء آية ١٠٢].

وفي الصحيح عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان». رواه البخاري ومسلم.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بين الرجل، وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**». رواه مسلم.

وعن بريده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**». رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني.

وللصلاة شروط وأركان وواجبات ومبطلات قد ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب مستقلة بعد الأصول الثلاثة.

الركن الثالث إيتاء الزكاة: الزكاة تجب على كل من ملك نصاباً وحال عليه الحول، وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة.

تجب في هذه الأنواع التالية:

١ - الذهب نصابه ٨٥ غرام.

٢ - الفضة نصابها ٥٩٥ غرام. والأوراق النقدية نصابها نصاب الفضة.

٣- وكذلك عروض التجارة من البضائع، والمواد الغذائية والسيارات، والمكائن، والمعدات والمواشي وغيرها، كل ذلك إذا أعد للتجارة، وحال عليه الحول أو حال الحول على أصله.

فالزكاة تجب، على صاحبه في المئة ريالان ونصف، أي ربع العشر.

٤ - وكذلك تجب في المواشي إذا بلغت النصاب ففي خمس من الإبل شاة وفي كل خمس شاة إلى خمس وعشرين بلت مخاض إلى أخر ما ذكر في الحديث، وكذلك البقر نصابها ثلاثون بقرة ففي كل ثلاثين تبيع وفي كل أربعين مسنة، والغنم نصابها أربعون شاة الخ..... ما جاء في الحديث.

ولا تجب إلا في بهيمة الأنعام إذا كانت سائمة، وهي التي ترعى الحول أو أكثر الحول.

لما روى أَنَس ﷺ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ كَتَبَ لَهُ: هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَهَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالَّتِي أَمَرَ الله بِهَا رَسُولَهُ «فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الإِبِلِ فَمَا دُونَهَا الْغَنَمُ: فِي كُلِّ خَمْسٍ شَاةٌ، فَإِذا بَلَغَتْ خَمْساً وَعِشْرِينَ إِلَى خَمْسٍ وَثَلاثِينَ فَفِيهَا بِنْتُ مَخَاضٍ أُنْثَى، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ فَإِذَا بَلَغَتْ سِتّاً وثَلاثِينَ إِلَى خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فَفِيهَا بنتُ لَبُونٍ أُنْثَى فإذا بَلَغَتْ ستّاً وأَرْبَعِينَ إِلَى سِتِّينَ فَفِيها حِقَّةٌ طَرُوقَةُ الجملِ، فَإِذَا بَلَغَتْ وَاحِدَةً وَسِتِّينَ إِلَى خَمْسٍ وَسَبْعِينَ فَفِيهَا جَذَعَةٌ، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتّاً وسَبعينَ إِلَى تِسْعِينَ فَفِيها بِنْتَا لَبُونٍ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِحْدَى وَتِسْعينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمَائَةٍ فَفِيهَا حِقَّتَانِ طَرُوقَتَا الْجَمَلِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمَائَةٍ فَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ، وَفِي كُلِّ خَمْسِينَ حِقَّةٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلا أَرْبَعٌ مِنَ الإِبِلِ فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا. وَفِي صَدَقَةِ الْغَنَمِ فِي سَائِمَتِهَا إِذا كَانَتْ أَرْبَعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمَائَةِ شَاةٍ شَاةٌ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عشْرِينَ وَمائَةٍ إِلَى مَائَتَيْنِ فَفِيهَا شَاتَانِ، فَإِذَا زَادتْ عَلَى مائَتَيْنِ إِلَى ثَلاثِمَائَةٍ فَفِيهَا ثَلاثُ شِيَاهٍ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى ثَلاثَمَائَةٍ فَفِي كُلِّ مائَةٍ شَاةٌ. فَإِذَا كَانَتْ سَائِمَةُ الرَّجُلِ نَاقِصَةً عنْ أَرْبَعِينَ شَاةً شاةٌ واحِدَةٌ فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ، إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا، وَلا يُجْمَعُ بَيْنَ مُتَفَرِّقٍ وَلا يُفَرَّقُ بَيْنَ مُجْتَمِعٍ خَشْيَةَ الصَّدقَةِ، وَمَا كَانَ مِنْ خَلِيطَيْنِ فَإِنَّهُمَا يتَرَاجَعَانِ بَيْنَهُمَا بِالسَّوِيَّةِ، وَلا يُخْرَجُ فِي الصَّدَقَةِ هَرِمَةٌ وَلا ذَاتُ عَوَارٍ ولا تيسٌ إِلا أَنْ يَشَاءَ الْمُصَدِّقُ، وَفِي الرِّقَّةِ فِي مائَتَيْ دِرْهَمٍ: رُبْعُ الْعُشْرِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ إِلا تِسْعِينَ وَمائَةً فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا، وَمَنْ

بَلَغَتْ عِنْدَهُ مِنَ الإِبِلِ صَدَقَةُ الْجَذَعَةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ جَذَعَةٌ وَعِنْدَهُ حِقَّةٌ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْه وَيَجْعَلُ مَعَهَا شَاتَيْنِ إِنِ اسْتَيْسَرَتَا لَهُ أَوْ عِشْرِينَ دِرْهَماً، وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الْحِقَّةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ الْحِقَّةُ وعنده الْجَذَعَةُ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ الْجَذَعَةُ وَيُعْطِيهِ الْمُصَدِّقُ عِشْرِينَ دِرْهَماً أَوْ شَاتَيْنِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وعن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ بعثه إلى اليمن فأمره أن يأخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعاً أو تبيعه ومن كل أربعين مسنة ومن كل حالم ديناراً أو عدله معافر رواه الخمسة واللفظ لأحمد وحسنه الترمذي.

٥- والحبوب والثمار تجب فيها الزكاة إذا بلغت نصاباً، النصاب ثلاثمائة وستون صاعاً، وفيها نصف العشر إذا كانت تسقى بمؤنة وكلفة، أما إذا كانت بعلا أو تشرب بعروقها ففيها العشر.

قال عفى الله عنه: الركن الرابع الصوم: كما في الحديث وصوم رمضان وهو صيام شهر رمضان قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة آية ١٨٣].

وقوله: «كتب» أي فرض يجب على كل بالغ عاقل قادر فخرج بقول (بالغ) الذي ليس ببالغ لا يجب عليه ولكن يسن له الصيام (والعاقل) خرج بذلك المجنون ومن في حكمه فإنه لا يجب عليه الصيام.

(وقادر) خرج بذلك الذي ليس بقادر، وهو الذي يعجز عن الصيام أو يتضرر بالصيام، فمثل هذا يطعم عن كل يوم مسكينا، والصيام كسائر الواجبات، له أركان وسنن وله مبطلات ومكروهات تذكر في كتب الفقه.

قوله في الحديث وحج بيت الله الحرام: يجب في العمر مرة واحدة على كل مسلم بالغ مستطيع لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران آية ٩٧].

أركان الحج أربعة:

الأول: الإحرام.

الثاني: الوقوف بعرفة.

الثالث: طواف الإفاضة.

الرابع: السعي.

وواجباته سبعة:

الأول: الإحرام من الميقات.

الثاني: الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس.

الثالث: المبيت بمزدلفة.

الرابع: رمي الجمار.

الخامس: المبيت بمنى ليالي التشريق.

السادس: الحلق أو التقصير.

السابع: طواف الوداع.

وله محظورات وهي تسعة: ومحل ذكر ذلك في كتب الفقه.

ولكل ركن شروط وواجبات وسنن ومكروهات.

وقد ذكرت ذلك مفصلاً في كتاب أحكام الحج والأضحية.

قوله: المرتبة الثانية الإيمان:

أما المرتبة الثانية من الدين فهي الإيمان: وهو في اللغة التصديق المستلزم للقبول والإذعان، وفي الشرع قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وله حالتان كما تقدم في الإسلام:

الحالة الأولى: إن يرد مفرداً غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة آية ٢٥٧] ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة آية ٢٣].

وقوله ﷺ: «إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنين» رواه مسلم.

قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال آية ٢].

وقد فسر الله الإيمان بذلك كما في قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة آية ١٧٧]

وفسر النبي ﷺ الإيمان بذلك كله في حديث وفد عبد قيس كما في الصحيحين فقال: «آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من

المغانم الخمس، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت وربما قال: والمقير فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم» رواه البخاري.

أما الحالة الثانية: إن يرد الإيمان مقترنا بالإسلام فحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل وما في معناه وكما في قول النبي ﷺ في دعاء الجنازة «**اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته فتوفه على الإيمان**» رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

وبهذا يتبين لك أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر يشمل الدين كله، وإذا فرق بين الاثنين كان الفرق بينهما بما ذكر، وهو أن الإسلام يختص بالأمور الظاهرة على الجوارح.

والإيمان بالأمور القلبية الباطنة وهو الذي دل عليه حديث جبريل الذي رواه مسلم في صحيحه.

وله أركان وشعب يزيد فيها وينقص كما للنفاق شعب يزيد فيها وينقص فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان.

فما من خصلة من خصال الطاعات إلا وهي من الإيمان ولا ترك محرم من المحرمات إلا وهو من الإيمان والتي يزول بزوالها ستة أركان.

وأركان الإيمان ستة أي أصول الإيمان التي تركب منها

الأول أن تؤمن بالله: وهو أعظم أركان الإيمان، وهو أصل الأصول، ومعناه الإيمان بوحدانية الله تعالى وتفرده بأسمائه وصفاته والإيمان بأنه الإله الحق وأن ما عُبد من دونه فعبادته أبطل الباطل وأضل الضلال.

أي أن الإيمان بالله توحيده سبحانه وتعالى بأنواع التوحيد الثلاثة التي تقدم ذكرها فيما سبق.

فمن عمل بهذا التوحيد ظاهراً وباطناً فقد آمن بالله.

الثاني الإيمان بالملائكة: وهو أن تعتقد أن لله ملائكة خلقوا من نور وأنهم لا يعلم عددهم إلا الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر آية ٣١].

فنؤمن إيمانا مفصلاً بمن ذكرت أسماؤهم في النصوص الصحيحة كجبريل وميكائيل وإسرافيل ورضوان.

ونؤمن إيماناً مجملاً بالذين لم تذكر أسماؤهم: فمنهم الذين في السماء يتعبدون ومنهم الموكل بالبحار ومنهم الموكل بالإنسان ومنهم الموكل بالأرحام ومنهم الموكل بالقطر والنبات ومنهم من يتتبع حلق الذكر وغير ذلك مما ذكر في كتاب الله وصحيح السنة.

الثالث أن تؤمن بكتبه كذلك نؤمن بجميع كتبه إيماناً مجملاً وإيماناً مفصلاً أما المفصل فالكتب التي ذكرت أسماؤها، كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن فنؤمن بها إيماناً مفصلا، لكن لا نعمل إلا بالقرآن، ونؤمن إيماناً مجملاً بجميع الكتب المنزلة من السماء من عند الله عز وجل.

الرابع الإيمان بالرسل: نؤمن إيمانا مجملاً وإيماناً مفصلاً، فأما الإيمان المفصل فهو الإيمان بمن ذكرت أسماؤهم من الأنبياء والمرسلين، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ.

وأما الإيمان المجمل فنؤمن بجميع الأنبياء الذين لم تذكر أسماؤهم وأن لله

تعالى أنبياء من بني إسرائيل وغيرهم، ولكن لا نتبع إلا نبينا محمداً ﷺ لقوله ﷺ لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي حسنه الألباني في إرواء الغليل.

ونؤمن أن نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء لا نبي بعده

لما روى أحمد وأبو داود والترمذي وصححه عن ثوبان رضي الله عنه وفيه وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي.

وفي حديث سعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» رواه مسلم.

الخامس الإيمان باليوم الآخر: سمى آخراً لتأخره وهو ما يكون بعد الموت من السؤال وعذاب القبر ونعيمه والبعث والنشر والحشر والحساب والعرض والحوض والصراط والجنة والنار نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار وما يكون في ذلك اليوم من الأهوال والأمور العظام مما ذكر في كتاب الله عز وجل أو صح في سنة رسوله ﷺ.

السادس الإيمان بالقدر خيره وشره: أي الإيمان بما قدره الله يعني كتبه من خير وشر.

والقدر قدرة الله: وهو أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن الله جل وعلا قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم.

والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربعة أشياء:

١ - الإيمان بعلم الله القديم.

٢ - الإيمان بأن الله كتب ما علم أنه كائن من العباد.

٣- الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٤- الإيمان بأن ما في الكون بتقدير الله وإيجاده.

وهو على أنواع:

الأول تقدير في الأزل: وهو ما كتب في اللوح المحفوظ.

الثاني تقدير عمري: وهو الكتابة على بني أدم وهم في بطون أمهاتهم.

الثالث تقدير حولي: وهو الكتابة الحولية التي تكتب كل سنة في ليلة القدر.

الرابع تقدير يومي: وهو الكتابة بالصحف التي في أيدي الملائكة قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر آية ٤٩].

وكما جاء في الحديث عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفه ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله وعمله، وشقي أم سعيد، فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**». رواه البخاري ومسلم.

ثم استدل الشيخ رحمه الله على أركان الإيمان: بقوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة آية ١٧٧].

وقد اشتملت هذه الآية على جمل عظيمة وعقيدة مستقيمة.

وقوله ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي ما خلقناه فمقدور مكتوب في اللوح المحفوظ وفي الحديث «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس».

قوله: المرتبة الثالثة الإحسان:

أما المرتبة الثالثة من مراتب الدين فهو الإحسان: وهو في اللغة إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه

وفي الشرع أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والإحسان أعلى مراتب الدين وأهله هم السابقون بالخيرات المقربون في أعلى الدرجات قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل آية ١٢٨].

فكل محسن مؤمن ومسلم وليس كل مؤمن محسن كما أنه ليس كل مسلم مؤمن فأوسع الدوائر الإسلام ثم بعده دائرة الإيمان ثم دائرة الإحسان.

معنى الشهادتين

قال عفى الله عنه: معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله تعالى

الشرح:

اعلم أن لا إله إلا الله هي كلمة التقوى والعروة الوثقى وأصل دين الإسلام ومفتاح دار السلام قد دلت بمنطوقها ومفهومها، على نفي استحقاق الإلهية عن غيره تعالى، والبراءة من كل معبود سواه قولاً وفعلاً، وإثبات استحقاق الإلهية على وجه الكمال لله تعالى.

فالأول: وهو النفي يستفاد من لا واسمها وخبرها المقدر والإثبات يستفاد من الاستثناء لأن الإثبات بعد النفي المتقدم، أبلغ من الإثبات بدونه، وهذه طريقة القرآن، يقرن بين النفي والإثبات غالباً كما في هذا الموضوع، لأن المقصود لا يحصل إلا بهما، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ﴾ [البقرة آية ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل آية ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء آية ٢٣].

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود آية ١-٢].

وقال عن نبيه يوسف: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف آية ٤٠].

قال ابن القيم رحمه الله وطريقة القرآن في مثل هذا، أن يقرن النفي بالإثبات، فينفي عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات وهذا حقيقة لا إله إلا الله انتهى.

ولذلك أفادت هذه الكلمة الحصر والاختصاص وقرر بعض المحققين لهذه الكلمة الطيبة وما شابهها من الآيات، التي ابتدأت بنفي الإلهية والعبادة عن غير الله أن ذلك أبلغ وأكد في الإثبات والاختصاص، ومنه لا رجل إلا زيد أو لا كريم إلا زيد، فإنه مع إفادته نفي الصفة عن غير المستثنى، أفاد إثباتها له على وجه الكمال الذي لا يتأتى بمجرد الإثبات من غير نفي، فلا تفيده زيد رجل أو زيد كريم، ولأن بين النفي والإثبات هنا تلازم من كل وجه فلا براءة من الشرك وعبادة غير الله إلا بتوحيده ولا توحيد إلا بالبراءة من كل معبود سوى الله وكما تضمنت العلم فهي تتضمن العمل، ولا يتصور وجود شهادة وإذعان وإتيان بمدلولها مع العلم والعمل هذا هو الذي تدل عليه عبارات أهل العلم من اللغويين والمفسرين وغيرهم.

والإله وضع لكل معبود حقاً كان أو باطلاً، لأنه مشتق من الآلهة، بمعنى العبادة، قال في القاموس أله يأله إلهة والوهية عبد يعبد عبادة وكل من عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً انتهى. وقال غيره إله اسم جنس يقع على كل معبود والإله بمعنى المألوه، كالكتاب بمعنى المكتوب، قال شيخ الإسلام الإله، هو الذي تألهه القلوب محبة وذلاً وإنابة وتعظيماً وتوكلاً وخوفاً ورجاءً وكذا قال ابن

القيم وابن رجب وغيرهما من أهل العلم، وبعد التعريف والتفخيم صار علماً على ربنا جل وعلا قال سيبويه هو أعرف المعارف، قال تعالى متمدحاً بذلك: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم آية ٦٥]. والدليل على إنه بمعنى العبادة قول رؤبة.

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألـه

يعني تعبد، وقرأ ابن عباس (ويذرك وإلهتك) أي عبادتك وزناً ومعنى، وأما التعبيد فهو في الأصل التذليل قال الشاعر:

تبارى عتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفا وظيفاً فوق مور معبد

والمورد المعبد هو: الطريق المذلل، وفي الاصطلاح هي أخص لأنه لا بد فيها من وجود الركن الأعظم وهو الحب قال في الكافية:

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان

والقطب الأس الذي عليه المدار، وبهذا يتبين أن المقصود نفي استحقاق العبادة عن غيره تعالى لا نفي وجود التأله والتعبد لسواه، فإن نفي وجوده مكابرة للحس والنص، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [مريم آية ٨١].

وقال تعالى: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات آية ٨٦].

وقال عن صاحب يّس قال تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [يس آية ٢٣].

فسمى معبوداتهم على اختلاف أجناسها آلهة، وعبادة غير الله وجدت وانتشرت واشتهرت في الأرض من عهد قوم نوح عليه السلام وقد تقدم أن

من عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون آية ١].

وقد غلط هنا من قدر الخبر (موجود) وبعضهم قدره (ممكن) ومعناه أنه لا يوجد ولا يمكن وجود إله آخر، وهذا جهل بمعنى الإله، ولو أريد بهذا الاسم الإله الحق وحده لما صح النفي من أول وهلة، والصواب أن يقدر الخبر (حق) لأن النزاع بين الرسل وقومهم في كون آلهتهم حقاً أو باطلاً قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ [سبا آية ٢٤].

وأما إلهية الله فلا نزاع فيها ولم ينفها أحد ممن يعترف بالربوبية.

لكن زعموا أن إلهية أندادهم وأصنامهم حق أيضا، ولذلك قالت لهم رسلهم قال الله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف آية ٦٥]. وبادر منهم من جحد ذلك بقوله قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص آية ٥]. لما دعي على هذه الكلمة فأنكروا إبطال عبادتها المستلزم لإبطال تسميتها، وهذا مستفيض عندهم قد ارتاضت به ألسنتهم، لا يحتاجون فيه إلى موقف ومعلم بل عرفوه بمجرد الوضع، قال أبو جهل لأبي طالب لما دعاه النبي ﷺ إلى كلمة الإخلاص أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فعرف بعربيته أنه تبطل عبادة وإلهية من عبده عبدالمطلب وقومه، وهذا قصر إفراد، لا قصر قلب، لأن المقصود إفراده بالإلهية واستحقاقها.

فيكون النفي على هذا منصباً على الخبر وهو (حق) المقدر وتقديره موجود أو

ممكن لا يفيد ما تقدم، إلا إذا وصف الاسم بحق وقيل لا إله حق موجود فحينئذ يستقيم الكلام.

و(لا) هذه هي النافية للجنس واسمها يبنى معها على الفتح على المشهور، والخبر ما مر تقريره و(لا) أداء استثناء، وما بعدها هو المستثنى وهو مرفوع والعامل فيه هو العامل في الخبر، لأنه بدل منه عند البصريين وعند الكوفيين هو عطف نسق، قال ثعلب: كيف يكون بدلاً، وهو موجب ومتنوعه منفي، يريد أن التابع والمتبوع لا بدّ أن يتوافقا نفياً وإثباتاً، وأجيب عنه بأنه بدل منه في عمل العامل، وتخالفهما في النفي والإيجاب لا يمنع البدلية وأجاب خالد الأزهري بأن محل اشتراط ذلك في غير بدل البعض.

وبما قالوه يعلم أن المستثنى مغاير للمستثنى منه، معنى ولفظاً، ولقد أخطأ وغلط من فهم دخول المثبت في المنفي، والمستثنى في المستثنى منه، فكيف يتوهم من يعقل ما يقول دخول الإله الحق في اسم (لا) المنفي؟ وهل بعد هذا التوهم من الضلال أمد ينتهي إليه؟ وقد ترد (لا) بمعنى غير، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء آية ٢٢]. وذلك إذا كان الموصوف جمعاً أو شبهه ويؤيده حديث الاستفتاح سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وعاقبت (غير) (إلا) هذا المحل، وهي تفيد مغايرة ما قبلها لما بعدها بالذات كما إذا قلت جاءني رجل غير زيد، وفي الصفات كقولك خرجت بوجه غير الذي دخلت به.

قوله: ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر قال تعالى: ﴿وَمَآ

ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر آية ٧]. وتصديقه فيما أخبر بقوله قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم آية ٤]. واجتناب ما نهى عنه وزجر بقوله قال تعالى: ﴿ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر آية ٧].

وأن لا يعبد الله إلا بما شرع لا بالأهواء والبدع وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران آية ٣١].

وذلك أن من شهد أن محمداً عبده ورسوله بصدق ويقين وعظَّم أمره ونهيه ولزم سنته.

والإتيان بهاتين الصفتين وجمعهما أي أنه عبدالله ورسوله دفعاً للإفراط والتفريط.

فقد أفرط قوم بالغلو قولاً وفعلاً حتى جوّز بعضهم الاستغاثة به ﷺ في جميع ما يستغاث بالله وبكل ما يحصل من ذلك بالاحتفال بمولد النبي ﷺ ومع أنه بدعه في الدين فقد يحدث فيه من أنواع الشرك بالله من الاستغاثة كما في قصيدة البوصيري كقوله يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به إلى آخر ما قال

ومقابل هؤلاء من فرط بترك متابعته ﷺ والإعراض عن سنته والرضى بالأوضاع والقوانين الباطلة وأهل السنة هم الذين أحبوه واتبعوه ﷺ ولزموا سنته وعضوا عليها بالنواجذ وأحبوا الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فهؤلاء هم الذين على صراط مستقيم.

شروط لا إله إلا الله:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتا

الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الرابع: الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور في ذلك.

السادس: الانقياد لحقوقها وهي الأعمال الواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته.

السابع: القبول المنافي للرد.

الشرح:

قوله: شروط لا إله إلا الله شروط جمع شرط والشرط في اللغة العلامة ويجمع على شُرَط وأشراط، والمراد هنا ما يتحتم، على المكلف معرفته والعمل به حتى يكون مسلماً في الظاهر والباطن، فإن العلم لا بد فيه من إقرار القلب واعتقاده وعمله، حتى يعمل بمقتضاه ظاهراً وباطناً، وهذا العلم الذي أمر الله به هو العلم بتوحيد الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد آية ١٩].

وهذه الشروط استنبطت من القرآن والسنة، فأنها قيدت بقيود

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة آية ١٨].

ففي هذه الآية اشتراط وقيود لمن عمرَّ مساجد الله لحصول الثواب والأجر وقبول العمل ولما جاء في قبول التوبة: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الفرقان آية ٧٠].

كما جاء في قبول العمل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء آية ٩٤].

وهكذا قول لا إله إلا الله قيد بقيود، لينتفع بها قائلها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار، فإن الذي ينطق بالشهادة بدون عمله بها لا ينتفع بالنطق بها، وليس المراد من الشروط عدّ ألفاظها وحفظها مع وقوعه في كثير مما يناقضها إنما المراد الاعتقاد والعمل وتجنب ما يناقضها، فكم من عامي اجتمعت فيه وعمل بها ولو قيل له اعددها لم يحسن ذلك، ومثل هذا لا يضره عدم حفظها لاعتقاده وعمله بما دلت عليه

(أدلت هذه الشروط من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ).

الأول: دليل العلم: بمعناها نفياً وإثباتاً، المنافي للجهل بذلك قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد آية ١٩].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي بلا إله إلا الله وهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم. وذلك لأن القلب له قول وعمل، فقول القلب هو العلم والمعرفة، وضده الجهل والتكذيب، وأما عمل القلب فهو الاستسلام لله، والخشوع له والإخلاص وضده الجحود.

ومن السنة الحديث الثابت في الصحيح:

عن عثمان رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: **«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة».**

الشرح:

قوله: الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك نعم العلم بمعنى لا إله إلا الله، وما دلت عليه من النفي والإثبات واجب لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد آية ١٩].

ففي هذه الآية وجوب العلم بمعنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ قال ابن كثير رحمه الله هذا استثناء منقطع أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفعه شهادته عنده بإذنه له.

وقوله: أي بلا إله إلا الله أي نطق بلسانه مقراً بقلبه عالماً بما يشهد به، وهي شهادته بالحق، وهو شهادته له بالوحدانية، ولنبيه بالنبوة والرسالة.

وقوله في الصحيح أي صحيح مسلم.

قوله: من مات وهو يعلم الحديث قال النووي مبوباً عليه في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

وقوله: في هذا الحديث وهو يعلم، أي كما في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ وفي الحديث من مات وهو يعلم أي أنه يعلم بقلبه ما نطق بلسانه.

الشرط الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات آية ١٤].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي لم يشكوا وأما المرتاب فهو من المنافقين.

ومن السنة الحديث الثابت في الصحيح:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقال أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهَ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لا يلْقَى الله بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ. رواه مسلم.

وفي رواية لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيُحجب عن الجنة.

وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً من حديث طويل من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة.

الشرح:

قوله: الشرط الثاني اليقين: وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

فاليقين ضده الشك والريب، ولا ريب أن اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، فيه تفاضل المؤمنون وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمّر العاملون وإذا حصل الصبر مع اليقين حصلت الإمامة في الدين قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة آية ٢٤].

كما خص سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين فقال سبحانه: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الذاريات آية ٢٠].

وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة آية ٤-٥].

وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكون من أهل اليقين فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية آية ٣٢].

فاليقين -روح- أعمال القلوب: التي هي أرواح أعمال الجوارح وهو حقيقة الصديقية وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره.

والتوكل من ثمرة اليقين ونتيجته ولهذا قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل آية ٧٩].

فالحق هو اليقين وقالت رسل الله ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ﴾.

ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهمّ وغمّ فامتلأ محبة لله وخوفاً منه ورضى به وشكراً له وتوكلاً عليه وإنابة إليه.

وقوله: والدليل قوله تعالى أي الدليل على اليقين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات آية ١٥].

إنما: أداة حصر وهو إثبات حكم في المذكور ونفيه عما سواه، والمعنى والله أعلم أن أهل الإيمان حقاً ظاهراً وباطناً من آمن بالله ورسوله قولاً وفعلاً واعتقاداً من غير شك ولا ارتياب.

والشاهد من الآية قوله تعالى ثم لم يرتابوا.

قوله: ومن السنة الحديث الثابت في الصحيح أي في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ الحديث وفيه أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة.

الشهادة في اللغة هي الإعلام والإقرار، والمراد بها هنا اعتراف العبد لله وإقراره بأن يعبد الله وحده لا شريك له، والاعتراف والإقرار للنبي ﷺ بالرسالة واتباعه وتجريد متابعته.

قوله: في الحديث لا يلقى الله بهما عبد أي يوم القيامة بالشهادة لله سبحانه بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة.

قول: في الحديث غير شاك فيهما أي ليس بمرتاب ولا متردد هذا هو الشاهد لهذا الشرط.

قوله: وفي رواية أي عند مسلم فيحجب عن الجنة: أي لا يمنع دخول الجنة.

قوله: عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا في حديث طويل أي عند مسلم فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة.

قوله: في الحديث فبشره أي أخبره بخير سار، يبسط بشرة وجهه وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجرة.

قوله: في الحديث مستيقناً بها قلبه -وهذا هو الشاهد من الحديث لأن من قالها مستيقناً- بها، فإنه لا يكون عنده شك ولا ريب.

الشرط الثالث: الإخلاص وضده الشرك ودليله قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر آية ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة آية ٥].

ومن السنة: الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ **«أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه أو نفسه»**.

وفي الصحيح: عن عِتْبَانَ بْن مَالِكٍ الْأَنْصارِيَّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله»**. رواه البخاري ومسلم.

وللنسائي في اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ: من قال: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق الله لها السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله»**

الشرح:

قوله: الشرط الثالث الإخلاص المنافي للشرك: الإخلاص في اللغة التصفية وفي الشرع تخليص العبادة وتصفيتها من شائبة الشرك والرياء والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر آية ٣].

قال ابن كثير رحمه الله: أي فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى

ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد، أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة آية ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر آية ٢-٣].

وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ [الزمر آية ١٤-١٥].

وقال له: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام آية ١٦٢-١٦٣].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك آية ٢].

قال الفضيل بن عياض هو أخلصه وأصوبه، قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه، فقال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠﴾ [الكهف آية ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء آية ١٢٥].

فإسلام الوجه: هو إخلاص القصد والعمل لله.

والإحسانُ فيه متابعة رسوله ﷺ والعمل بسنته قال النبي ﷺ لسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه **«إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله تعالى إلا ازددت به خيراً ودرجة ورفعة»**.

وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ **«ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم أي لا يبقى فيه غلٌ ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة بل تنفي عنه غله وتنقيه منه وتخرجه عنده»**.

فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل وكذلك يغل على الغش وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة. فهذه الثلاثة مملوءة غلاً ودغلاً ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه يحصل بتجريد الإخلاص لله تعالى والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم وإتباع سنة رسول الله ﷺ.

وسئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل رياء ويقاتل شجاعة ويقاتل حميه أي ذلك في سبيل فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العلياء فهو في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

وأخبر عن أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة وهم من عمل أعمالاً رياء وسمعة قارئ القرآن والمجاهد والمتصدق بماله الذين فعلوا ذلك ليقال فلان قارئ وفلان شجاع وفلان متصدق ولم تكن أعمالهم خالصة لله.

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا**

أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم. وفي رواية ابن ماجه: «فأنا منه بريء وهو للذي أشرك».

وفي الصحيح عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج آية ٣٧].

وقيل الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن والرياء أن يكون ظاهره خيراً من باطنه، والصدق في الإخلاص أن يكو ن باطنه أعمر من ظاهره.

وقوله: قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة آية ٥].

أي أن التوحيد والإخلاص في الدين هو دين القيمة، أي الدين المستقيم الموصل إلى جنات النعيم وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم نعوذ بالله من الجحيم ونسأله الجنة.

ثم قال: ومن السنة الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة أنه قال قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه» رواه البخاري.

نعم الشفاعة المذكورة في هذا الحديث هي الشفاعة في أهل الكبائر الذين ماتوا على التوحيد والإخلاص، وقد أنكر هذه الشفاعة طوائف من المبدعة والخوارج والمعتزلة.

ومن ألفاظ هذا الحديث «(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)».

قوله في الحديث: وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك عن النبي أنه قال: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله».

قوله في الحديث: فإن الله حرم على النار والتحريم نوعان تحريم دخول وهذا في حق من مات على التوحيد غير مرتكب للكبائر ولا مُصر على الصغائر

الثاني: تحريم خلود وهذا في حق عُصاة الموحدين كما دلت عليه أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر.

قوله في الحديث: من قال لا إله إلا الله أي تلفظ بالشهادة مع العلم بما دلت عليه.

قوله في الحديث: يبتغي بذلك أي يطلب ويرجوا بذلك وجه الله، الشاهد من الحديث اشتراط الإخلاص بالنطق بالشهادة لله تعالى وحده، وفيه إثبات صفة الوجه لله على ما يليق بجلال الله وعظمة.

واعلم أن من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله فإنه يأتمر بما أمر الله به ورسوله وينتهي عما نهى الله عنه ورسوله، فإنه ولو اخطأ وارتكب بعض الذنوب فإنه يتوب ويرجع إلى الله وينيب، وإن مات على التوحيد قبل ذلك فهو تحت المشيئة نسأل الله تعالى أن يغفر لنا ويدخلنا الجنة وينجينا من النار.

كما في الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال القوم ما له ما له فقال رسول الله ﷺ أرب ما له فقال النبي ﷺ تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم ذرها قال كأنه كان على راحلته.

وفي هذا الحديث دليل على اشتراط العمل الصالح في دخول الجنة.

الرابع: الصدق: ودليله قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت آية ١-٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة آية ٨-١٠].

ومن السنة ما ثبت في الصحيحين: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ **«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»** واه البخاري ومسلم.

الشرح:

قوله: الشرط الرابع: الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق أجل الصدق هو الطريق الأقوم الذي من لم يسير عليه فهو من المنقطعين الهالكين وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله

في أرضه، الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلاً إلا أرّداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين ودرجته تلي درجة النبوة التي هي أرفع درجات العاملين ومن مساكنهم في الجنات، تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين، وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا من الصديقين وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء آية ٦٩].

فهم الرفيق الأفضل ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ ولا يزال الله يمدهم بالنعمة والطاقة ولهم مرتبة المعية مع الله، فإن الله مع الصادقين، ولهم منزلة القرب منه إذ درجتهم منه ثاني درجة النبيين.

وأخبر تعالى أن من صدقه فهو خير له فقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد آية ٢١].

وأخبر تعالى عن أهل البر وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدق والصبر، بأنهم أهل الصدق فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة آية ١٧٧].

وهذا صريح في أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة، وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان.

وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق فقال تعالى: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [الأحزاب آية ٢٤].

والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب لا يجتمع كذب وإيمان، إلا وأحدهما محارب للآخر.

وأخبر سبحانه أنه في يوم القيامة، لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة آية ١١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر آية ٣٣].

فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله، فالصدق في هذه الثلاثة.

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كالستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صدقيته، ولذلك كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ذروة سنام الصدقية، سمي (الصديق) على الإطلاق، والصديق أبلغ من الصدوق والصدوق أبلغ من الصادق فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية، وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ، مع كمال الإخلاص للمرسل.

وقد أمر الله تعالى رسوله أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق. فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء آية ٨٠].

وقوله: قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة آية ٨-٩].

هذا أخبار من الله جل وعلى عمّا كان عليه المنافقون من إظهار الإيمان بألسنتهم وإضمار الكفر في قلوبهم مخادعة وكذباً لما في قلوبهم من المرض فزادهم الله مرضاً، فالجزاء من جنس العمل.

قوله: ومن السنة ما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال: «**يا معاذ بن جبل قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا قال إذا يتكلوا وأخبر بها معاذ عند موته تأثما**» رواه البخاري.

والشاهد من الحديث قوله صدقاً من قلبه، قال الحافظ صدقاً فيه احتراز على شهادة المنافقين، وفيه هذا دليل على أن الشهادة لا تنفع قائلها في الآخرة، إلا إذا اجتمع مع لفظها اعتقاد القلب، وقد أكذب الله المنافقين ورد قولهم مع تصريحهم بالشهادة للنبي ﷺ بالرسالة حيث كان ذلك باللسان دون القلب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون آية ١].

ومن علامات الصدق طمأنينة القلب إليه. ومن علامات الكذب حصول الريبة كما في الترمذي عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب قال حفظت من رسول الله ﷺ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة. رواه الترمذي وقال حديث صحيح.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ**

الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا». رواه البخاري ومسلم.

اللهم ارزقنا الإخلاص لوجهك الكريم والمتابعة لرسولك الأمين.

الشرط الخامس: المحبة: ودليله قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة آية ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء آية ٥٤].

ومن السنة ما ثبت في الصحيح:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» رواه البخاري.

الشرح:

قوله: الشرط الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك.

نعم: محبة الله ومحبة أوامر الله، عبادة تنافس فيها المتنافسون وإلى علمها شمّر السالفون، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهما الحياة الذي من حرمها فقد حرم خيراً كثيراً والنور الذي من فقده فهو في بحار

الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، فهي تحمل أثقال السائرين إلى بلد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبداً واصليها، وتبؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولها دخلوها. تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، وإذا لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب وقد قضى الله بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب، فيالها من نعمة على المحبين سابغة.

أجابوا منادي الشوق إذ نادى بهم: حيى على الفلاح، وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم، وكان بذلهم بالرضى والسماح، وواصلوا إليه المسير بالإدلاج، والغدو والرواح، تالله لقد حمدوا عند الوصول سُراهم، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم، وإنما يحمد القوم السُرى عند الصباح.

فحيَّ هلا إن كنت ذا همة فقد ... حدا بك حادي الشوق فاطوِ المراحل
وقل لمنادي حبهم ورضاهم ... إذا دعا لبيك ألفاً كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإن ... نظرت إلى الأطلال عُدن حوائلا
ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد ... ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا
وخذ منهم زاداً إليهم وسر على ... طريق الهدى والفقر تصبح واصلا
وأحيِ بذكراهم سراك إذا ونت ... ركابك فالذكرى تعيدك عاملا
وإما تخافن الكلال فقل لها ... أمامك ورد الوصل فابغ المناهلا
وخذ قبسا من نورهم ثم سر به ... فنورهم يهديك ليس المشاعلا
وحي على واد الأراك فقِل به ... عساك تراهم فيه إن كنت قائلا

وإلا ففي نعمان عند معرف الـ ... أحبة فاطلبهم إذا كنت سائلا
وإلا ففي جمع بليلته فإن ... كفت فمنى يا ويح من كان غافلا
وحي على جنات عدن بقربهم ... منازلك الأولى بها كنت نازلا
ولكن سباك الكاشحون لأجل ذا ... وقفت على الأطلال تبكي المنازلا
فدعها رسوماً دارسات فما بها ... مقيلٌ فجاوزها فليست منازلا
رسوم عفت يفنى بها الخلق كم بها ... قتيل وكم فيها لذا الخلق قاتلا
وخذ يمنة عنها على المنهج الذي ... عليه سرى وفد المحبة آهلا
وقل ساعدي يا نفس بالصبر ساعة ... فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلا
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ... ويصبح ذو الأحزان فرحان جاذلا

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يعطى الناس بدعواهم لا دعى الخلي حرقة الشجي فتنوع المدعون في الشهود فقيل لا تقبل هذه الدعوة إلا ببينة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران آية ٣١].

فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع محمد ﷺ في أفعاله وأقواله وأخلاقه فطولبوا بعدالة البينة بتزكية: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة آية ٥٤].

فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فهلموا إلى بيعة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾ [التوبة آية ١١١].

فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع عرفوا قدر السلعة وأن لها شأناً، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي، من غير ثبوت خيار، وقالوا لا نقيلك ولا نستقيلك.

فلما تم العقد وسلموا البيع قيل لهم منذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معاً ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران آية ١٦٩-١٧٠].

إذا غُرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة النبي ﷺ أثمرت أنواع الثمار، وآتت أُكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى.

اللهم أرزقنا حبك وحب من يحبك وحب العلم الذي يقربنا إلى حبك.

والأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها (عشرة):

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه، ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره سبحانه على كل حال باللسان والقلب، والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه سبحانه على محابك عند غلبات الهوى، والتسليم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة. وبالله التوفيق.

والدليل على أن المحبة من شروط لا إله إلا الله قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة آية ١٦٥].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾. [البقرة آية ١٦٥]. قولان لأهل العلم:

أحدها: أن المؤمنين حبهم لله أشد من محبة المشركين لله لأن محبتهم للرب خالصة ومحبة المشركين مشتركة.

الثاني: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة آية ١٦٥]. أي من محبة المشركين لأندادهم، والقول الأول أرجح، وفي هذه الآية دليل على تحريم صرف محبة العبادة لغير الله لأنه من الشرك وهو شرك المحبة ففعل المشركين في تسويتهم أندادهم في المحبة مع الله وما ذكر الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء آية ٩٧-٩٨].

وقوله: وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة آية ٥٤].

ففي هذه الآية دليل على إثبات محبة المؤمنين لربهم ومحبة الله سبحانه للمؤمنين محبة تليق بجلال الله وعظمته كما في إثبات سائر صفاته، خلافاً لمن أنكرها أو أولها على غير المراد منها كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم.

وفي هذه الآية دليل على أن من ارتد عن دينه فسبب ذلك هو عدم محبته لله ولأهل لا إله إلا الله وعدم محبته لما دلت عليه لا إله إلا الله وعدم السرور بذلك يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة آية ٥٤].

نسأل الله العفو والعافية والثبات على الحق وحسن الختام.

قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي أهل لين ومحبة للمؤمنين ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي أهل غلظة وشدة وكراهية وبغض للكافرين، وهم مع ذلك في محبتهم للا إله إلا الله يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، في سبيل الله وطاعة لله ورسوله ورضي الله وإتباع رسوله ﷺ.

قوله: في الصحيح أي في صحيح البخاري ومسلم وهذا لفظ البخاري

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسولُهُ أَحَبَّ إليه مما سِوَاهم وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**».

أي أن الإيمان له حلاوة وهو ما يجده المؤمن من محبة الطاعات والرغبة فيها والاستلذاذ بها وتحمل المشقّات في رضى الله عز وجل ورضى رسوله على عرض الدنيا.

وهذه الحلاوة لا يجدها من كان في قلبه مرض النفاق، فكما أن المريض إذا تذوق العسل أو السكر لا يجد له حلاوة بل يجده مراً لما فيه من المرض، كذلك

مريض القلب مريض النفاق والكفر لا يجد ولا يحس بحلاوة الإيمان ولا يستلذ بها لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له فمن أحب شيئاً واشتهاه إذا حصل مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، وتحصيل ذلك يحصل بثلاثة أمور:

الأول: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب بل لا بد أن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما.

الثاني: تفريغ هذه المحبة وهو أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

الثالث: دفع ضدها أي المحبة، وهو أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يُقذفَ في النار.

قوله: في الحديث مما سواهما، فيه جمع ضمير الرب سبحانه مع ضمير الرسول ﷺ، وقد أنكره النبي ﷺ على الخطيب لما قال ومن يعصهما فقد غوى، وفي ذلك أقوال لأهل العلم: منها أنه ثنى الضمير لأن المعتبر هو المركب من المحبتين لا بواحدة دون الأخرى وأمر بالإفراد في حديث الخطيب لأن كل واحد من العصيانين مستقل، ومنهم من قال حمل حديث الخطيب على الأدب وهذا على الجواز.

ومنهم من قال إن هذا ورد على الأصل وحديث الخطيب ناقل والله تعالى أعلم.

الشرط السادس:

قوله: الشرط السادس الانقياد بحقوقها وهي الأعمال الواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته. ودليل الانقياد لما دلت عليه قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ

وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان آية ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [لقمان آية ٢٢]. أي بلا إله إلا الله.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء آية ٦٥].

ومن السنة قوله في الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وهذا تمام الانقياد وغايته.

الشرح:

قوله: ومن شروط لا إله إلا الله الانقياد المنافي للترك لأن من الناس من يقولها وهو يعرف معناها لكنه لا ينقاد للإتيان بحقوقها ولوازمها من الولاء والبراء والعمل بشرائع الإسلام ولا يلائمه إلا ما وافق هواه وتحصيل دينه.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة وأسلموا وأخلصوا له التوحيد من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون.

وقوله: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء آية ٢٥].

أي أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيماناً واحتسابا وهو محسن أي اتبع في عمله ما شرعه الله له.

وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، فمتى فَقَد الإخلاص كان منافقاً (هم الذين يراؤن الناس) ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين الذين يعملون ويرجون الله أن يتقبل منهم.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان آية ٢٢].

يخبر جل شأنه إن التمسك بالعروة الوثقى هو الاستسلام لله وحده لا شريك له مع إحسان العمل وذلك بمتابعة الرسول ﷺ

وقوله: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان آية ٢٢].

أي فقد استمسك بالدين بأقوى الأسباب، وشبه ذلك بالعروة الوثقى، التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة، قوية وربطها قوي شديد قال مجاهد العروة الوثقى يعني الإيمان. وقال السدي هو الإسلام، وقال سعيد بن جبير والضحاك، يعني لا إله إلا الله، عن وأنس بن مالك العروة الوثقى القرآن.

وعن سالم بن الجعد قال هو الحب في الله والبغض في الله وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، والله تعالى أعلم.

قوله: وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء آية ٦٥].

يخبر جل وعلا، أن الإيمان الظاهر والباطن، لا يحصل إلا بثلاثة أشياء:

الأول: تحكيم النبي ﷺ في حياته وتحكيم سنته بعد مماته.

الثاني: انتفاء الحرج من النفس حال الحكم، وبعد الحكم ومعنى ذلك قبول الحكم مع اتساع الصدر وانشراحه له.

الثالث: التسليم لحكمه لقوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

وذلك لأن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم.

وقوله ومن السنة: ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**».

حديث صحيح رُويناه في كتاب الحجّة بإسناد صحيح.

وكذلك أخرجه البغوي في شرح السنة والخطيب في التاريخ وابن أبي عاصم في السنة وغيرهم وقد ضعف لأن مداره على نعيم بن حماد، لكن جاء في القرآن ما يشهد لمعنى هذا الحديث.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء آية ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب آية ٣٦].

وأيضا ما ذم الله سبحانه من كره ما أحبه الله وأحب ما كرهه الله بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد آية ٩].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد آية ٢٨].

وكذلك ما ثبت في الصحيحين مرفوعاً عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». رواه البخاري ومسلم وغيرهما. والله تعالى أعلم.

الشرط السابع:

قوله: الشرط السابع القبول المنافي للرد ودليل القبول قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف آية ٢٣-٢٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات آيتان ٣٥-٣٦].

ومن السنة: ما ثبت عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا. وأصاب طائفة منا أخرى، أنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين

الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» متفق عليه.

الشرح:

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف آية ٢٣].

فهذه الآية تدل على أن الكفار ما أرادوا إتباع الحق والهدى وقبول الحق والهدى، وإنما قصدهم إتباع الباطل والهوى لما في قوله: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾ [الزخرف آية ٢٤].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥﴾ [الصفات آية ٣٥].

أي إنهم كانوا إذا دعوا إلى لا إله إلا الله وأمروا بترك إلاهيّة ما سوى الله يستكبرون عنها وعلى من جاء بها ويقولون معارضة لها ورداً لها، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونٖ ٣٦﴾ [الصافات آية ٣٦].

قال الله سبحانه تكذيباً لهم ورداً عليهم ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني الرسول ﷺ جاء بالحق في جميع ما شرع الله تعالى من الأخبار والطلب وصدق المرسلين أي صدقهم فيما أخبرهم عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة.

وأخبر عن الله تعالى بشرعه وأمره، كما أخبر الرسل قال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [فصلت آية ٤٣].

قوله: ومن السنة ما ثبت عن أبي موسى هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم وهذا لفظ البخاري: عن أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ قَالَ أَبُو عَبْد اللهِ قَالَ إِسْحَاقُ وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتْ الْمَاءَ قَاع يَعْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنْ الأَرْضِ».

في هذا الحديث تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيث ونزول المطر ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس وقلوبهم.

النوع الأول: من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بالهدى بعد أن كان ميتاً، فكما أن الأرض تنبت الكلاء بنزول المطر عليها فينتفع بها الناس والدواب والزرع وغيره. فكذلك من بلغه الهدى والعلم فقبله وحفظه يحيا قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع بنفسه وينفع الناس بعلمه فزكا وزكى غيره.

النوع الثاني: من الأرض ما لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب.

فكذلك النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة ولكن ليست لهم أفهام ثاقبة ولا رسوخ لهم في العلم يستنبطون به المعاني والأحكام، وليس عندهم

اجتهاد في الطاعة والعمل به فهم يحفظون حتى يأتي طالب علم محتاج متعطش لما عندهم من العمل أهل للنفع والانتفاع فأخذه منهم فينتفع به، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم وحفظوا.

النوع الثالث: من الأرض السباخ التي لا تنبت ولا تمسك الماء فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها.

فكذلك النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا العلم لم ينتفعوا به ولم يحفظوه لنفع غيرهم فهم كما جاء في الحديث مثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به، ففي هذا شاهد لشرط القبول المنافي للرد.

لأن من الناس من يقولها مع معرفته لمعناها لكن لا يقبل ممن دعاه إلى الحق، إما كبراً أو حسداً أو غير ذلك من الأسباب المانعة من القبول. فتجده يعادي أهل الإخلاص ويوالي أهل الشرك ويحبهم.

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

نواقض الإسلام

قوله: اعلم أن نواقض الإسلام عشرة:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء آية ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة آية ٧٢].

ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشافعة، ويتوكل عليهم كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه -كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه: فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد آية ٩].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة آية ٦٥-٦٦].

السابع: السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة آية ١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة آية ٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة آية ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعا.

فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه واليم عقابه.

الشرح:

اعلم رحمك الله: أن نواقض الإسلام هي مفسداته ومبطلاته فالمسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله قد ينتقض إسلامه، وتوحيده بناقض من هذه النواقض فيكون مرتداً من المرتدين عن الدين، ومن جملة الكفار والمشركين نعوذ بالله تعالى من الارتداد عن الدين ونعوذ بالله من الكفر والكفار والمشركين، ونسأل الله سبحانه أن يثبتنا على دينه القويم والصراط المستقيم.

فإن المسلم قد ينتقض إسلامه كما أن المتطهر والمتوضي تنتقض طهارته إذا فعل ناقضاً من نواقض الطهارة والوضوء فيصير كأنه لم يتطهر فصلاته لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فكذلك الإسلام والتوحيد كالحدث إذا دخل في الطهارة.

والنواقض جمع ناقض، اسم فاعل، من نقض الشيء إذا حلّه وهدمه وأفسده، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل آية ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل آية ٩٢].

ونواقض الإسلام كثيرة قد ذكرها أهل العلم من الفقهاء في باب (حكم المرتد).

ولكن أهمها وأخطرها: هذه العشرة التي ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: نصحاً للأمة وخوفاً من الوقوع فيها ولأجل أن يتجنبوها ويبتعدوا عنها.

الناقض الأول: الشرك في عبادة الله تعالى. وتعريف الشرك الأكبر هو مساواة غير الله في الله فيما هو من خصائص الله أو دعوة غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله والعبادة مأخوذة من التعبد والتذلل والخضوع، ومن أهل العلم من عرفها بأنها غاية الحب لله عز وجل مع غاية الذل له.

قال ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان

وهذا تعريف مجمل -وفيه تعريف مفصل وهو أن العبادة كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

والشرك نوعان:

النوع الأول: الشرك الأكبر الذي هو مساواة غير الله فيما هو من خصائص الله، كما في قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء آية ٩٧-٩٨].

وهذا الشرك هو الناقض الأول للإسلام والتوحيد لأن صاحبه صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله وهذا النوع يخرج صاحبه من الملة. ويحرم على صاحبه دخول الجنة ويخلده في النار ويحبط جميع الأعمال ويبيح الدم والمال ويدل على ذلك آيات من القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة آية ٧٢].

لأنه لما حرمت عليه الجنة صارت النار مأواه أبد الآباد، ولا يخرج منها أبدا نعوذ بالله من النار نعوذ بالله من النار نعوذ بالله من النار.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء آية ١١٦].

فالمشرك إذا مات على الشرك الأكبر لا طمع له في مغفرة الله تعالى نعوذ بالله من الموت على الشرك والكفر، ونسأل الله حسن الخاتمة.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر آية ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام آية ٨٨].

فإن الإنسان إذا مات على الشرك حبط عمله وبطل كما يبطل الحدث الطهارة قال ﷺ «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار» رواه البخاري.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله إن من أنواع الشرك الأكبر في هذا الناقض الذبح لغير كالذبح للجن والقبر نعم إنه الشرك الأكبر لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام آية ١٦٢-١٦٣].

وقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر آية ٢].

فمن ذبح تقرباً للجن أو للأموات أو للشياطين أو تعظيماً للملوك والسلاطين ومشايخ القبائل يذبح لهم عند قدومهم واستقبالهم تعظيماً لهم ففعل هذا من الشرك والذبيحة لا يحل أكلها ولو قال عليها بسم الله لأنه اجتمع فيها مانعان.

الأول: إنها ذبيحة مرتد وذبيحة المرتد لا يحل أكلها.

الثاني: أنها مما أهل بها لغير الله.

أما النوع الثاني: من الشرك: الشرك الأصغر وهو ما ورد في الكتاب والسنة تسميته شركا ودلت النصوص على أن صاحبه لا يخرج من الملة وبعضهم يقول الشرك الأصغر ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر وهو نوعان.

النوع الأول: شرك في الألفاظ مثل قول لولا الله وأنت وما شاء الله وشئت ونحو ذلك.

النوع الثاني: شرك خفي في القلوب: كالرياء والسمعة أو أن يريد الإنسان بعمله الدنيا قال ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا بلى يا رسول الله قال الرياء يقوم أحدهم فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**». رواه أحمد وابن ماجة والحاكم.

وقال ﷺ: «**تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة تعس عبد الدنيار والدرهم إن أعطي رضي وإن لم يعطى لم يرض**» رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [هود آية ١٥].

وبعضهم عرف الشرك الخفي هو أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل وهذا النوع أي الشرك الأصغر بنوعيه القولي والخفي لا يناقض الإسلام لأنه ليس من نواقضه وإنما ينقص الإسلام أي ينقصه ولا ينقضه لأنه لا يخرج من الملة إلا الشرك الأكبر.

الناقض الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعا:

الشرح:

قوله: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة أي وسائط من الخلق يدعوهم ويطلب منهم الشفاعة ويتوكل عليهم لأنه يزعم أنهم يتوسطون له عند الله فهذه الواسطة من أثبتها كفر إجماعاً لأنه لا واسطة بيننا

وبين الله تعالى: في دعائه أو في التوكل عليه بل يجب علينا أن نعبد الله وندعوه ونسأله ونطلب منه الشفاعة وغيرها بدون واسطة بيننا وبينه لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر آية ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس آية ١٨].

فسمى هذا عبادة قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس آية ١٨]، فسمى سبحانه هذا شركاً ونزه نفسه عنه.

وهذا هو حال عبّاد الأموات والأضرحة الذين يتخذون الأولياء والصالحين وسائط عند الله ولذلك يذبحون لهم عند قبورهم وينذرون لهم، ويستغيثون بهم ويدعونهم من دون الله فمثل هؤلاء إذا قيل لهم هذا شرك قالوا هؤلاء وسائط بيننا وبين الله فنقول هذا هو الشرك فيقولون نحن لا نعتقد أنهم يخلقون مع الله أو يرزقون مع الله، أو يدبرون الأمور مع الله وإنما اتخذناهم وسائط بيننا وبين الله يبلغون الله حوائجنا. فنقول لهم هذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر آية ٣].

فمن اتخذ بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم فيقول: يا أحمد البدوي أو يا عبدالقادر، أو يا حسين أو يا علي، أو يا عيدروس، أغثني، أنقذني، اشف

مريضي، أو رد غائبي، لا شك أن هذا هو الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر لمن مات على ذلك قبل أن يتوب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء آية ٤٨].

فإن قال قائل ما تقولون في الشفاعة. فنقول الشافعة حق ولكنها لا تطلب من الأموات وإنما تطلب من الله تقول اللهم شفع فيّ نبيك اللهم شفع فيّ عبادك الصالحين ولا تقول يا سيدي فلان، يا ولي فلان تنادي الأموات وتطلب منهم الشفاعة والميت لا يطلب منه شيء وإنما الشفاعة تطلب من الله، لأن الشفاعة لا تحصل إلا بشرطين.

الشرط الأول: أن يأذن الله تعالى بها.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد. والذي يطلبها من الأموات ليس من أهل التوحيد، وإنما هو من المشركين. لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة آية ٢٥٥]، وهذا دليل الشرط الأولى.

ودليل الشرط الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء ٢٨].

أما المشرك فقال الله فيه ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ١٨﴾ [المدثر آية ٤٨].

أما طلب الدعاء من الحي الحاضر فتطلب من أخيك المسلم أن يدعو الله تعالى لك فهذا الطلب جائز، بل يسنّ للمسلم أن يدعو لأخيه بظهر الغيب كما ورد في ذلك الحديث الصحيح.

عَن أَبي الدَّرداءِ رضي الله عنه أَنَّهُ سمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**ما مِن عبْدٍ مُسْلِمٍ يَدعُو لأَخِيهِ بِظَهرِ الغَيْبِ إِلاَّ قَالَ المَلَكُ ولَكَ بِمِثْلٍ**». رواه مسلم.

الناقض الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر إجماعا.

الشرح: نعم يجب على المسلم أن يكفر الكفار والمشركين ولا يشك في كفرهم فلا يتردد ولا يرتاب في تكفير من كفره الله ورسوله فإن لم يكفرهم أو شك في ذلك، فقد كذب الله ورسوله ويجب على المسلم أن يعتقد بطلان ما هم عليه من الكفر والشرك فإن صحح مذهبهم فإنه مثلهم لأنه لم يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فمن لم يكفرهم أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم لم يكفر بالطاغوت.

فالكفار من اليهود والنصارى والوثنين الذي لا يكفرهم أو يشك في كفرهم مكذب لله ورسوله غير مؤمن بما حكم الله به من الكفر، لأنهم كفار بنص القرآن ونص السنة فالواجب على المكلفين من المسلمين اعتقاد كفرهم وضلالهم لما في صحيح مسلم عن طارق ابن أشيم الأشجعي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**».

فدل هذا الحديث على أن من لم يكفر بالطاغوت وما عبد من دون الله، لا يحرم ماله ودمه لأنه ليس بمسلم بل هو كافر.

فإن اليهود والنصارى لما لم يصدقوا برسالة محمدٍ ﷺ إليهم صاروا بذلك كفاراً ضلالا وإن وجد من اليهود من يوحد الله فإنه لا يكفي حتى يقروا برسالة الرسول ﷺ إليهم ويؤمنوا به ويتبعوه وإلا فإنهم ضالون كفار بإجماع المسلمين لعدم إيمانهم بمحمد ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**». رواه مسلم.

فلو قال شخص إني أعبدالله وحده وأصدق محمداً ﷺ في كل شيء إلا في تحريم الزنا بأن جعله مباحاً عياذاً بالله، فإنه يكون بهذا كافراً حلال الدم والمال، وهكذا لو قال إنه يوحد الله ويعبده وحده دون كل من سواه ويصدق الرسل جميعاً ويتبع الرسول ﷺ إلا في تحريم اللواط وهو إتيان الذكر الذكر نعوذ بالله صار كافراً حلال الدم والمال، يجب على المسلم أن يكفره ويعتقد كفره، كما يكفر الكافرين الذين بلغتهم الشريعة ولم يؤمنوا كاليهود والنصارى والمجوس والشيوعيين والوثنيين وغيرهم ممن يوجد اليوم وقبل اليوم، ممن بلغتهم رسالة الله ولم يؤمنوا، فهم كفار يجب تكفيرهم والبراءة منهم نعوذ بالله من الكفر والموت عليه.

مسألة: ومما يقع فيه بعض الجهلة من الخطأ والضلال، هو أن الإنسان مخير إن شاء كفر وإن شاء أسلم لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف آية ٢٩].

ولم يعلم هذا أن هذا للتهديد وليس للتخيير، ولهذا قال بعدها. ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف آية ٢٩].

يعني إن شاء فليؤمن وله الجنة وإن شاء فليكفر وله النار فهو من باب

التهديد والتحذير فليس مخيراً بل يجب أن يسلم ويدخل في دين الله ويعمل بالحق.

وهكذا قوله جل وعلا: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة آية ٢٥٦].

فمن أهل العلم من قال إن هذا منسوخ بآية الجهاد وهي قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة آية ٥].

ومنهم قال إن الآية في أهل الكتاب لا يكرهون متى بذلوا الجزية ومنهم من قال إنها في حالة ضعف المسلمين وعدم قدرتهم على قتال الكفار والمشركين وعلى كل حال فإن هذه الآية لا تدل على عدم تكفير الكفار والبراءة منهم ومما يعبدون، لما جاء في كتاب الله عز وجل كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة آية ١].

ولقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ۚ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة آية ٤].

ولقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا

حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة آية ٢٩].

وقال عز وجل: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال آية ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الكافرون آية ١].

وقوله تعالى: عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام آية ٧٤].

الناقض الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر؟.

الشرح: هدي الرسول ﷺ، دينه، وسيرته وطريقته التي يسير عليها في دعوته إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام آية ٧٤].

فمن اعتقد أن هدي غير الرسول ﷺ أكمل من هديه فهو مكذب لله تعالى ولرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم آية ٤].

وروى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ**».

وكذلك من اعتقد أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضّل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر نعم يكفر لأن الرسول ﷺ مبلغ عن الله تعالى

فحكمه عليه الصلاة والسلام من الوحي الذي أنزله الله عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم آية ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء آية ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة آية ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب آية ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر آية ٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات آية ١].

فيجب على المسلم أن يعتقد أن حكم الله وحكم رسوله هو الحق والأكمل والأحسن للناس في أمور دينهم ودنياهم ومعاملاتهم وأن ما خالف ذلك فإنه باطل وفساد وإفساد للناس في أمور دينهم ودنياهم ومعاملاتهم وأخلاقهم قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام آية ٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء آية ٦٥].

ولذا فإن الذي يعتقد، أن حكم المخلوق أحسن من حكم الله عز وجل أو أن حكم غير الرسول ﷺ، أحسن من حكمه الذي يعتقد هذا يكفر وينتقض إسلامه لأنه كما أن العبادة لله وحده فكذلك الحكم له وحده كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف آية ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر آية ١٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى آية ١٠].

الناقض الخامس: من أبغض شيئا مما جاء به النبي ﷺ، ولو عمل به كفر إجماعاً. والدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد آية ٩].

الشرح: نعم اعلم أن البغض الناقض للإسلام، هو بغض التشريع لا بغض العمل، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف آية ٢٨].

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية، فيه أنه لا يضر المؤمن كراهة نفسه لذلك إذا جاهدها وذلك أن البغض نوعان:

النوع الأول: البغض المكفر الناقض للإسلام هو بغض التشريع أو شيء منه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد آية ٩].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المؤمنون آية ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام آية ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الزمر آية ٤٥].

وقد حكى ابن تيمية الإجماع على أن من أبغض ما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر، كما في مجموع الفتاوى.

النوع الثاني: بغض طبيعي كحال من تزوج عليها زوجة ثانية فهي كارهة للقدر الخاص راضية بالشرع أو من كره الماء البارد أو كره القتال لمشقته عليه.

أما من جهة التشريع فهم راضون بشرعيته، مذعنون له، فهذا ليس من الكفر في شيء لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة آية ٢١٦].

وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ [الأنفال آية ٥].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة آية ٣٨].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قالوا بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره»**.

فإنهم إنما كان الجهاد كرهاً لهم لما فيه من مؤونة المال ومفارقة الأوطان، والتعرض للقتل أو الجراح فكانت كراهيتهم لذلك لا أنهم كرهوا فرض الله

تعالى لكن على المسلم أن يجاهد نفسه إذا ابتلي بالنوع الثاني لأنه إذا استفحل أمره بدون مجاهده فقد يجر للوقوع في النوع الأول فيهلك وذلك أن الراضي إنما يحمله على احتمال المكاره والآلام ما يجده من لذة الرضا وحلا وته.

الناقض السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [التوبة آية ٦٥].

الشرح: نعم لقد دلت الآيات من كتاب الله عز وجل على كفر من استهزاء بالله ورسوله أو كتابه لأن الاستهزاء تنقص واحتقار للمستهزأ به، والله سبحانه له صفات الكمال وكتابه من كلامه وكلامه من صفات كماله جل وعلا، ورسوله محمد ﷺ هو أكمل الخلق وسيدهم وخاتم المرسلين وخليل رب العالمين، فمن استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من دينه فقد تنقصه واحتقره، واحتقار شيء من ذلك وتنقصه كفر بيّن ونفاق ظاهر وعداوة لرب العالمين ورسوله الأمين.

وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع العلماء على كفر من سب الرسول الكريم، ﷺ أو تنقصه وعلى وجوب قتله قال: أبو بكر بن المنذر رحمه الله اجمع عوام أهل العلم على أن حدّ من سب النبي ﷺ القتل وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي. ا.هـ.

وقال محمد بن سحنون من أئمة المالكية أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر والوعيد عليه جاء بعذاب الله له وحكمه عند الأئمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر ا.هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه [الصارم المسلول على شاتم الرسول]. قال: بعد ما نقل أقوال العلماء في شاتم الرسول قال وتحريم القول فيه أن الساب إن كان مسلماً إنه يكفر ويقتل بغير خلاف وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم وقال حنبل سمعت أبا عبدالله يقول من شتم الرسول ﷺ أو تنقصه مسلماً كان كافراً فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب.

نعم لا يشك مسلم في كفر من استهزأ بالله أو رسوله ﷺ أو كتابه أو شيء من الدين. لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة آية ٦٥-٦٦].

ففي هذه الآية نص ظاهر وبرهان قاطع على كفر من استهزأ بالله العظيم أو رسوله الكريم أو كتابه المبين، ولقد أخبر الله سبحانه في كتابه المجيد عن أعداءه من الكفار والمنافقين أنهم يمرون بالمرسلين والمؤمنين، ويضحكون منهم قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المطففين آية ٢٩-٣٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون آية ٩-١١].

وقال جل وعلا عن رسوله نوح عليه السلام وقومه: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا

تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [هود آية ٣٨-٣٩].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [التوبة آية ٧٩].

ففي هذه الآيات المحكمات دلالة ظاهرة على أن الاستهزاء بالمرسلين والمؤمنين من صفات الكفار والمنافقين والمشركين ومن عدائهم السافر، وكفرهم الظاهر وكل من استهزاء بالدين واستهزأ بما جاء به الرسول ﷺ كأن يستهزأ بالجنة أو النار، أو بالصلاة، أو بالشهادتين، أو الزكاة أو بالصوم، أو بالحج، أو بأوامر الله في بر الوالدين وصلة الأرحام أو بأوامر الله بالجهاد في سبيل الله أو غير ذلك، فإنه يكفر ولو أنه يصوم النهار ويقوم الليل وكذا من سب أبا بكر وعمر، يكفر لأن الله ترضى عنهما وكذا من سب الصحابة عموماً كفر أما إذا سب الواحد لشخصه فهذا فسق لكن سب الصحابة بالجملة أو بغضهم ردة عن الإسلام لأنهم حملة الشرع وقد أثنى الله عليهم في كتابة أثنى عليهم رسوله ﷺ في سنته فسبهم معناه قدح في الشرع، وكذا من سب عائشة واتهمها بالزنا رضي الله عنها وأرضاها فقد كفر لأن الله تعالى: برئها فهو مكذب لله تعالى: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور آية ١١-١٢].

مسألة: ومن جلس في مجلس يتكلم فيه ويستهزأ فيه بالحق والدين، وأهل الدين فإنه يجب عليه أن ينكر ولا يسكت فإن لم يستطع الإنكار باللسان يجب عليه أن يقوم عن هذا المجلس ولا يجلس معهم أما إذا جلس وسكت فظاهر القرآن عدم العذر لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

الناقض السابع: السحر ومنه الصرف العطف فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة آية ١٠٢].

الشرح: اعلم أن السحر في اللغة عبارة عن الشيء الخفي وهو عقد ورقى يفعلها السحرة وينفثون فيها وسمي سحراً، لأنهم يتعاطونه بطرق خفية.

والسحر: ما يسحر الناس ويغير شعورهم بأي نوع يستخدمون به الشياطين من الجن وهو ناقض من نواقض الإسلام وكفر مخرج عن ملة الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة آية ١٠٢].

فأخبر سبحانه عن كفرهم بتعليمهم الناس السحر.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة آية ١٠٢]. ودلت الآية على أن تعلمه كفر.

والسحر في الشرع ينقسم إلى قسمين: حقيقي وتخيلي:

الأول: الحقيقي من السحر: عمل يؤثر في الأبدان أو في القلوب بمرض ونحوه أو يؤثر على الفكر بأن يخيل إلى الإنسان أنه فعل شيئاً وهو لم يفعله كما

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق آية ١-٥].

الثاني: التخيلي من السحر: ما يؤثر في الأبصار فيرُى الشيء على خلاف ما هو عليه وهو سحر الأعين. قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾.

ومن أعمالهم الخبيثة: الصرف والعطف والتفريق بين الزوجين والأقارب بما يفعلونه من أعمال السحر وأنواعه التي لا تضر إلا بإذن الله الكوني القدري لا الشرعي لأن الله تعالى حرم في الشرع: عمل السحر وتعلمه، وأخبر سبحانه أنه كفر، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة آية ١٠٢].

فيحصل بسببه تأثير على الزوج في المحبة والبغض وعلى الزوجة كذلك وعلى الأقارب ونحوهم وذلك بما يفعله السحرة من أعمال السحر وأنواعه كالصرف والعطف الذي يبغض هذا لهذا وهذا لهذا، ويحبب هذا لهذا وهذا لهذا مما ليس بطبيعي بل بتأثيره شيء من السحر وهو مما تخدم به الجن والشياطين السحرة، فإن الجنّ تخدم الإنسي والإنسي يخدم الجنيَّ بعبادتهم مع الله عز وجل فالجنّ تخدم الإنسي بأخبارهم ببعض الحوادث التي في البلدان القريبة أو البعيدة. كما أنها تعينهم على الظلم والأذى لبعض الناس أما الإنس فإنها تخدم الجن بعبادتهم من دون الله تعالى. ودعائهم والنذر لهم والذبح لهم وهذا هو

استمتاع بعضهم ببعض، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام آية ١٢٨].

وبما تقدم تعلم أن السحر موجود وله حقيقة فمن أنكره فهو مكذب للقرآن والسنة والساحر المستخدم للشياطين مشرك كافر.

قال القرطبي: دل القرآن في غير آية والسنة في غير ما حديث على أن السحر موجود وله أثر في المسحور فمن كذب بذلك فهو كافر مكذب لله تعالى ولرسوله ﷺ، ومنكر لما علم بالعيان، ثم إن المنكر للسحر أن أنكره في السّر فهو زنديق، وإن أنكره في الظاهر فهو مرتد، انتهى بواسطة شرح مسلم للآبي.

الناقص الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة آية ٥١].

الشرح: اعلم أنه يجب على كل مسلم البراءة من المشركين والكفار ومن دينهم ومعاداتهم وبغضهم وتكفيرهم واعتقاد بطلان دينهم. لقوله تعالى: ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة آية ٢٥٦].

فمن ظاهر المشركين أي نصرهم وأعانهم وساعدهم على المسلمين فقد ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، لأن محبة الكفار لدينهم ونصرتهم ومعاونتهم على المسلمين كفر وضلال فالرضى بالكفر ولو ما فعله الإنسان ردة عن الإسلام.

أما صداقتهم أو محبتهم لأمر دنيوي وموالاتهم لذلك لا لمحبة دينهم ولا لنصرتهم على المسلمين فهذا محرم لأنه منكر ومن وسائل الشرك، فالواجب

على المسلم بغض الكفار ومن اليهود والنصارى والوثنيين والشيوعيين والمجوس ونحوهم ممن عادى الله ورسوله ﷺ كل هؤلاء تجب عداوتهم وبغضهم في الله، وبالله، ولله، وسواء كانوا حرباً أو سلماً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة آية ٥١].

ولقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة آية ٢٢].

ولقوله تعالى: عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة آية ٤].

فالموالاة في الله والمعادة في الله والحب في الله والبغض في الله، أوثق عرى الإيمان ولكنه يختلف في حال الحرب والسلم ففي حال الحرب مع الأعداء لا يجوز أن يساعدوا بشيء بالكلية لا بسلاح ولا بمال ولا طعام ولا غير ذلك لأن إعطائهم يكون عوناً لهم على المسلمين ومظاهرة لهم.

أما في حال السلم وحال المعاهدة والمصالحة فلا مانع أن يعطى القريب قريبه والمسلم يعطي الفقير كما في قوله عز وجل: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة آية ٨].

وكما في قصة أسماء بنت أبي بكر الصديق مع أمها في وقت الهدنة وقد فرق أهل العلم بين المولاة والتولي، فالموالاة معصية محرمة وهي محبتهم لدنياهم أو البشاشة في وجوههم أو بدءهم بالسلام، هذا نوع من المولاة المحرمة لكن التولي نصرهم على المسلمين وإعانتهم مع محبتهم لدينهم، فهذا ردة وناقض من نواقض الإسلام قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران آية ١١٨].

الناقص التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو، كافر.

الشرح: اعلم أن الخضر، نبي على الصحيح وعبد من عباد الله، من بني آدم يأتي عليه الفناء كغيره فلو كان حياً لما وسعه إلا أن يؤمن بالنبي محمد ﷺ، ويتبعه لأن الرسول ﷺ أرسله الله إلى الناس كافة أما نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام فرسالته خاصة لبني إسرائيل ولم يرسل إلى الناس كافة، فهو كغيره من الرسل. رسالاتهم خاصة إلى قومهم، وأما رسولنا محمد ﷺ فأنه أرسل إلى الناس جميعاً لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف آية ١٥٨].

ولقوله ﷺ: كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرُّعبِ مسيرة شهر وجُعلت لي الأرض كلها**

مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» متفق عليه.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم.

فمحمد رسول الله ﷺ قد بعثه الله إلى الناس كافة جميعاً من الجن والإنس والعرب والعجم والذكور والإناث والأغنياء والفقراء والحكام والمحكومين والأولياء وغيرهم، كلهم مأمورون، بإتباع محمد ﷺ وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

فمن خرج عن شريعة محمد ﷺ ولم يتبعه فقد كفر بالله وضل عن سواء السبيل ولا يكون من أولياء الله، كما يزعم الزنادقة، من غلاة الصوفية، أنهم يستقلون بالعلم اللدني من عند الله، تحدثهم قلوبهم عن ربهم وأنهم ليسوا بحاجة إلى إتباع الأنبياء، فهذا ضلال وزندقة وكفر بالله وإلحاد، نعوذ بالله ونسأله العفو والعافية.

وقد يقع في هذا الناقض أيضا الذين يزعمون أن أهل الكتاب لا يلزمهم إتباع شريعة محمد ﷺ زعماً منهم أن إقرارهم بدفع الجزية والاستسلام يعفيهم

عن وجوب الدخول في الإسلام وهذا ضلال مبين فليس إقراراهم على الجزية دليلاً على أنهم على حق وكل من اعتقد أنه يسوغ له الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى كليم الرحمن عليه الصلاة والسلام فهو كافر بإجماع أهل العلم.

الناقض العاشر:

الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به. الدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة آية ٢٢].

الشرح:

نعم: كفر الإعراض، أن يعرض الإنسان بسمعه وقلبه عن الرسول لا ينظر فيما جاء به الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يحبه ولا يبغضه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي لما جاء به البته بل هو معرض عن متابعته ومعاداته.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه آية ١٢٤-١٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف آية ٣٦-٣٧].

وقال تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن آية ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف آية ٣].

ولذا فإن المعرض عن دين الله هو الذي لا يتعلمه ولا يعلمه فلا يعبد الله تعالى مشتغلاً بدنياه، أو بلهوه ولعبه لاهياً عن دين الله وعن طاعة الله وطاعة رسوله بذلك.

كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت الكلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**». رواه البخاري.

نعوذ بالله من الإعراض عن الله تعالى وعن دينه.

التوحيد ثلاثة أنواع

قوله: **الأول توحيد الربوبية**: وهو الذي أقر به الكفار في زمن رسول الله ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم وهو توحيد الله بفعله تعالى.

الشرح:

نعم: هو الإيمان والإقرار والاعتراف بأن الله تعالى هو الذي خلق الخلق وأوجدهم وهو المالك لهم والمدبر لأمورهم، وأنه سبحانه هو الرزاق المحيي المميت، الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة آية ٢١-٢٢].

ولذا فإن المشركين الذين بعث فيهم نبينا محمد ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ولا ينكرونه، كما ذكر الله تعالى عنهم بقوله سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس آية ٣١].

قال المصنف: **الثاني توحيد الألوهية**: وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والمحبة والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن.

الشرح:

نعم: توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة، فالإله معناه المعبود وهذا النوع هو الذي أنكره المشركون لما دعتهم الرسل إليه كما قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف آية ٧٠].

وقال تعالى: عن كفار قريش أنهم قالوا لنبينا محمد ﷺ لما جمعهم ودعاهم إلى قول لا إله إلا الله، أنهم قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص آية ٥].

فهذا النوع هو الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [النحل آية ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥ ﴾ [الأنبياء آية ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال آية ٣٩].

قال المصنف النوع الثالث توحيد الذات والأسماء والصفات وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله محمد ﷺ على ما يليق بجلاله وعظمته كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى آية ١١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص آية ١-٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف آية ١٨٠].

نعم قوله: توحيد الذات أي أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، وذلك أن الكفرة من أهل الإتحاد يقولون بالحلول أي بحلول ذاته سبحانه وتقدس في بعض خلقه تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وتعريف الحلول في اللغة حلّ يحل حلولا، أي نزل بالقوم.

وتعريفه اصطلاحاً على قول أهل الإتحاد الباطل هو الاعتقاد بحلول ذات الخالق جل وعلا في كل مكان أو في بعض الأمكنة أو حلوله في بعض الأشخاص أو حلول جزء من ذاته في بعضهم على قدر استعداد مزاج الشخص ورياضته وتقبله لذلك على زعمهم، نعوذ بالله من هذا القول.

وينقسم الحلول إلى قسمين على قولهم الباطل.

١- **الحلول الخاص**: وهو قولهم بحلول اللاهوت في الناسوت، كحلول الماء في الإناء، وهذا قول طائفة من النصارى ومن وافقهم من غلاة الرافضة وغلاة الصوفية الذين يقولون بحلول الله، تعالى وتقدس.

وفي بعض أئمتهم وأوليائهم وزعمائهم وهذا كفر وضلال مبين نعوذ بالله العظيم من هذا القول.

٢- **الحلول العام**: وهو قولهم بأن الله تعالى بذاته في كل مكان وهذا قول طائفة من الجهمية وبعض غلاة الصوفية وهذا كفر نعوذ بالله من قولهم.

ولذا قال ابن تيمية رحمه الله والحلول نوعان أي عند أهل الحلول، حلول مقيد وحلول مطلق.

الأول: الحلول المقيد: هو قول النصارى ونحوهم من غلاة الرافضة وغلاة العبّاد وغيرهم يقولون إنه حلّ في المسيح أو اتحد به، وحلّ بعلى أو اتحد به، وأنه يتحد بالعارفين حتى يصير الموحِّد هو الموحَّد... وهؤلاء الذين حكى أحمد قولهم أنهم يقولون إذا أراد الله أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه فتكلم على لسانه... الخ. نعوذ بالله من هذا القول لأنه كفر وضلال.

الثاني: الحلول المطلق: وأما أهل الحلول المطلق الذين يقولون أنه حال في كل شيء أو متحد بكل شيء أو الوجود واحد، كأصحاب فصوص الحكم، وأمثالهم... الخ. نعوذ بالله من قولهم لأنه كفر وضلال لأنه سبحانه لم يحل في أحد من خلقه بل هو مستو بذاته على عرشه بائنٌ من خلقه، فبهذا تعلم أن الحق سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ونؤمن بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ونثبت ذلك ونقر به ونعترف به على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى آية ١١].

فأثبت سبحانه لنفسه الصفات ونفى عنه مشابهة المخلوقات، فدل ذلك على أن إثبات الصفات لا يقتضي التشبيه، كما زعمه الجهمية ومن تبعهم من المعطلة، ممن لم يقدر الله حق قدره، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وسبحان الله عما يصفون.

والإلحاد في أسماء الله تعالى أربعة أنواع: نوع شركي بمعنى أن يسمي بأسماء الله تعالى الآلهة الباطلة، وهذا النوع كثيراً ما يقع عند المشركين، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف آية ١٨٠].

قال يشركون سموا اللات من الإله والعزى من العزيز.

والنوع الثاني: نوع تغييري بمعنى يدخل فيها ما ليس منها قاله الأعمش.

والنوع الثالث: تعطيلي بمعنى أنه ينفي عنها حقائقها من المعاني البينة في اللغة والسنة.

والنوع الرابع: إنكاري كما أنكرت قريش الرحمن قالوا ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

قال ابن القيم في مدارج السالكين: الإلحاد تسمية الأوثان بها كما يسمونها آلهة، وقال ابن عباس في تفسير الآية: ﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ يكذبون عليه وهذا تفسير بالمعنى، وحقيقة الإلحاد فيها العدول بها عن الصواب فيها وإدخال ما ليس من معانيها فيها وإخراج معانيها عنها هذا حقيقة الإلحاد، ومن فعل ذلك فقد كذب على الله ففسر ابن عباس الإلحاد بالكذب إذ هو غاية الملحد في أسمائه تعالى، فإنه إذا أدخل في معانيها ما ليس منها وخرج بها عن حقائقها أو بعضها فقد عدل بها عن الصواب، وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة، وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات المصنوعات، كإلحاد أهل الإتحاد فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها، لأن الإلحاد فيها نوعان: تعطيلي بمعنى أنه يعطل حقائق معانيها ويؤولها كالجهمية ومن تبعهم من الأشاعرة في بعضها والمعتزلة في بعضها، كتأويل الاستواء

بالاستيلاء واليد بالقدرة وأشباه ذلك، وإنكاري بمعنى ينكر أوصافه كلها كابن سينا وأرسطو ومن تبعهم أو بعضها كالجهمية في الكلام والخلة والمعتزلة في الرؤية.

هذا وقد قال الصادق المصدوق الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.

فالهدي القويم والعقل السليم يدلان على أن الله هو أعلم بنفسه من غيره وما سواه لم يدركوا كنه ذاته، لأن ما سواه مخلوق مصنوع، والمصنوع ما يعرف الصانع كما قيل:

تقاصرت الأفهام عن كنهه ذاته ... فلا كيف يدري ما العقول ولا ما هو
وهل يعرف المصنوع صانع نفسه ... بلى يعلم الباري بما هو سواه
إذ العقل لم يدر الذي قد تخلفا ... فكيف برب خالق الكون أنشاء

فهو جل وعلا وصف نفسه بهذه الأوصاف، فاللازم على كل مسلم أن يؤمن بها من دون تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ويكون كما قال مالك اقرأ في الإثبات: قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص آية ١-٤].

واقرأ في النفي قول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى آية ١١].

وقال في جواب السائل حين سأله عن الإستواء قال الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ولا أراك يا هذا إلا مبتدعاً.

ذكر الألوسي رحمه الله أن أعرابي مر على الجهم بن صفوان وهو يدعو الناس إلى مذهبه الباطل -نفي الصفات وتعطيلها- فأنشد الأعرابي قائلاً:

ألا إن جهـما كافـر بـان كفـره ومن قال يوما قول جهـم فقـد كفـر
لقـد جـن جهـم إذ يسـمي إلهـه سميعا بلا سمع بصيـرا بـلا بـصر
علـيما بـلا علـم رضـيا بـلا رضـا لـطيفا بلا لـطف خبـيرا بـلا خـبر
أيرضيك أن لـو قـال يـا جهـم قائـل أبـوك امرؤ حـر خـطير بـلا خـطر
مليـح بـلا ملـح بهـي بـلا بـها طـويـل بـلا طـول يخالفـه القـصر
حليـم بـلا حلـم وفـيٌّ بـلا وفـا فبالعقل موصوف و بالجهل مشتهر
جـواد بـلا جـود قـوي بـلا قـوى كـبير بـلا كـبر صغيـر بـلا صغـر
أمدحـا تـراه أم هجـاء و سبـة وهـزأ كفاك الله يـا أحـمق البـشـر
فـإنـك شيطـان بعثـت لأمـة تصيـرهـم عـما قـريب إلـى سقـر

قال الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله فألهمه الله عز وجل حقيقة مذهب أهل السنة ورجع كثير من الناس ببركة أبياته.

ضد التوحيد الشرك:

قال المصنف: وهو ثلاثة أنواع شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي

الشرك الأكبر: لا يغفره الله ولا يقبل معه عملاً صالحاً.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء آية ٤٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائده آية ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان آية ٢٣].

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر آية ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام آية ٨٨].

الشرح:

نعم: الشرك الأكبر ضد التوحيد، لأنه هضم للربوبية وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين، فإنه إذا كان التوحيد إفراد الله تعالى بالعبادة، فالشرك صرف العبادة أو شيء منها لغير الله تعالى وقال بعضهم هو دعوة غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله، أو مساواة غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله.

والشرك الأكبر أعظم الذنوب نعوذ بالله منه، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه مع أنه كتب على نفسه الرحمة وكذلك يحبط جميع الأعمال لمن مات عليه كما في هذه الأيات، وحرم الله على صاحبه الجنة وحكم عليه بالخلود في النار، كما في الآية التي ذكر المصنف نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار.

قوله: والشرك الأكبر أربعة أنواع.

الأول: شرك الدعوة: والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت آية ٦٥].

الشرح:

نعم: هذا النوع شرك أكبر: لأنه دعاء غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف آية ٥-٦].

وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس آية ١٨].

فيسمون هذا عبادة قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس آية ١٨].

فالمشرك مثلاً ينادي الميت سواء كان ولياً أو غير ولي، فيقول يا فلان أغثني أعثني أو يقول يا فلان يعني ميتاً أوجنياً، أستعين بك في أمري، أو في حاجتي معتقداً أنه يقضي حاجته من دون الله تعالى، أو يستعيذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كقول المشركين إذا نزلوا بوادٍ، قالو نعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهاء قومه.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [الجن آية ٦].

فقال لهم النبي ﷺ من نزل منزلاً فقال: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء**».

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت آية ٦٥].

وذلك أن المشركين عند ركوب الفلك أي السفينة في البحر فإذا تلاطمت أمواجه وخافوا الهلاك تركوا أندادهم وأخلصوا الدعاء لله وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت آية ٦٥].

يعني إذا زالت عنهم الشدة ونجاهم الله إلى البر، أشركوا به من لا نجاهم من شدة ولا كشف عنهم كربة لأنه لا يستطيع ذلك.

قوله: الثاني شرك النية والإرادة والقصد: والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود آية ١٥].

الشرح:

قوله الثاني شرك النية والإرادة والقصد:

نعم: هذا النوع هو البحر الذي لا ساحل له: فمن أراد بعمله غير الله أو نوى التقرب لغير الله في جميع العبادة، فقد أشرك في نيته وإرادته وقصده، وهذه حال أهل النفاق الأكبر جميع أعمالهم للدنيا ولا يرجون ثواب الله في الآخرة.

أما إذا كان أصل العمل لله لكن يريد الدنيا في بعض العبادة فهذا يكون من قسم الشرك الأصغر كالرياء والسمعة والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونياته وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحدهم غيرها، وهي حقيقة الإسلام قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران آية ٨٥].

وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فقد سفه نفسه.

قوله الثالث شرك الطاعة: والدليل قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة آية ٣١].

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

الشرح:

نعم: طاعة العلماء والعبّاد في المعصية، جريمة.

ولكنها تنقسم إلى قسمين:

الأول: أن يطيعهم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله مستحلاً لذلك زاعماً أنه يسوغ له أن يطيعهم في تحليل الحرام كما في حديث عدي فإن هذا شرك أكبر وكفر أكبر وردة.

القسم الثاني: طاعتهم في معاصي الله ولكن لا يعتقد جواز طاعتهم فيما يخالف شرع الله وإنما أطاعهم خوفاً من شرهم أو إتباعا للهوى، وهو يعلم أنه عاص لله في ذلك، فإن مثل هذا يعتبر عاصياً بهذه الطاعة ولا يعتبر مشركاً إذا كانت الطاعة في غير الأمور الشركية والكفرية.

قوله: الرابع شرك المحبة: والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ

يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [البقرة آية ١٦٥-١٦٧].

الشرح: قوله شرك المحبة أي المحبة التي لا تجوز إلا لله وحده لا شريك له فصرفها لغير الله من الشرك الأكبر.

وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز صرفها لغير الله ولا تعليقها بغير الله أصلاً فمن صرف منها لغير الله فقد أشرك.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشطان

وهذه هي المحبة هي التي سوى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة آية ١٦٥].

فالله جل وعلا، يذكر حال المشركين به في الدنيا، ومالهم في الآخرة من العذاب والنكال، حيث جعلوا لله أنداداً أي أمثالاً ونظراء يحبونهم كحب الله أي يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم.

وقال سبحانه عن المشركين: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء آية ٩٦-٩٨].

أي نجعل أمركم مطاعاً كما يطاع رب العالمين، وعبدناكم مع رب العالمين.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا ... كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ... ويحبه كمحبة الديان
والله ما ساووهم بالله في ... خلق ولا رزق ولا إحسان
فالله عندهم هو الخلاق والر ... زاق مولى الفضل والإحسان
لكنهم ساووهم بالله في ... حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما ... جعلوا المحبة قط للرحمن

ولذا فحب غير الله محبة عبادة كحب الله من الشرك الأكبر، وكذا التوكل على غيره والخوف والرجاء لغير الله فيما هو من خصائص الله من الشرك الأكبر والسجود والركوع لغير الله من الشرك الأكبر، والنذر لغير الله والذبح لغير الله تعالى من الشرك الأكبر.

قوله: النوع الثاني من أنواع الشرك:

شرك أصغر: وهو الرياء، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف آية ١١٠].

الشرح:

قوله: **الشرك الأصغر**: أي ما ورد في الكتاب والسنة تسميته شركاً ودلت الأدلة على أن صاحبه لا يخرج من الملة، سواء كان في الألفاظ كقول لولا الله وأنت ما شاء الله وشئت أو في القلوب وهو أنواع فمنها الرياء الذي يحصل من المسلم، كما في قوله ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال، قالوا بلى يا رسول الله، قال الرياء يقوم أحدهم فيصلي ويزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**» رواه أحمد وابن ماجه والحاكم فهذا قد يقع من المسلم والمؤمن، فإذا حصل في نفسه شيء من هذا الرياء، دافعه وعاد إلى الإخلاص لله عز وجل، فمثل هذا لا يضره إذا دفعه، أما إذا كان معه من بدايته واستمر معه فإنه يبطل العمل، ويأثم.

وأما السمعة فهي لما يسمع من الأقوال كالذكر وتلاوة القرآن إذا عملها من أجل أن الناس يسمعونه ويمدحونه فهذا من الشرك الأصغر وفي ذلك من التفصيل كما في الرياء.

ومن الشرك الأصغر أيضا، أن يريد الإنسان بعمله الدنيا فيعمل عملاً صالحاً وهو يريد طمع الدنيا مع إيمانه باليوم الآخر، وأما الذين يتظاهرون بالأعمال الصالحة لأجل مطامع الدنيا وغيرهما، وهم يعتقدون بقلوبهم الكفر لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فهؤلاء شركهم شرك اكبر، كما تقدم في أنواع الشرك الأكبر، وهذه من حال أهل النفاق الأكبر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء آية ١٤٥].

فهؤلاء يصلون مع الناس ويصومون وهم في الباطن كفار يعتقدون جواز عبادة الأوثان والأصنام، ويعملون للدنيا فقط ولا يؤمنون باليوم الآخر في الباطن.

قوله: النوع الثالث من أنواع الشرك:

الشرك الخفي: والدليل عليه قوله ﷺ الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل.

وكفارته قوله ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم».**

الشرح:

قوله: (شرك خفي) نعم: الشرك الخفي وهو أن تحب على شيء من الجور أو أن تبغض على شيء من العدل، وهو من الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة.

الكفر كفران :

قوله: الأول كفر يخرج من الملة: وهو خمسة أنواع:

الأول: كفر التكذيب والجحود والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت آية ٦٨].

الشرح: اعلم أن الكفر والشرك بينهما عموم وخصوص من وجه، بمعنى أن كل مشرك كافر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ

أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الروم آية ٣٣-٣٤].

فبين سبحانه أنهم إذا أشركوا كفروا ولا بد وليس كل كافر مشركاً.

الكفر خمسة أنواع:

الأول: كفر التكذيب والجحود: وهو إما تكذيب مطلق أي لا يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ على العموم ويكذب به أو تكذيب وجحود مقيد ببعض ما جاء به، كأن يكذب ويجحد نبياً أو ملكاً أو رسولاً أو كتاباً من الكتب المنزلة أو آية من كتاب الله.

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق: والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة آية ٣٤].

الشرح:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ [النمل آية ١٣]. أي بينة واضحة ظاهرة قال تعالى: ﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾. [النمل آية ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل آية ١٤].

أي علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوا وعاندوها وكابروها ﴿ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ أي ظلماً من أنفسهم ﴿وَعُلُوًّا﴾ أي استكباراً عن إتباع الحق ولهذا قال تعالى: ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل آية ١٤].

النوع الثالث: كفر الشك: وهو كفر الظن.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف آية ٣٥-٣٨].

الشرح: قوله كفر الشك بمعنى أن صاحبه متردد بين الحق والباطل سواء كان متردداً في الجميع أو في بعض ما أنزل الله أو صح عن الرسول ﷺ ولم يرجح جانب الوحيين على غيرهما ولا للحق على الباطل.

النوع الرابع: كفر الإعراض.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف آية ٣].

الشرح:

قوله: ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾. أي لاهون عما يراد بهم وقد أنزل الله تعالى: إليهم كتاباً وأرسل إليهم رسولا وهم معرضون عن ذلك كله أي وسيعلمون غب ذلك وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف آية ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن آية ١٧].

والإعراض معناه الانصراف عن الشيء مع عدم الرغبة فيه والإعراض إذا كان عن أصول الدين والعقيدة وعدم رغبة فيها فهذا كفر وناقض من نواقض

الإسلام، وأما إذا كان الإعراض عن تفاصيل الأحكام بسبب الكسل أو اللهو فهذا معصية وليس بكفر، كما في حديث الثلاثة الذين مروا على النبي ﷺ وهو في حلقة في المسجد ومعه أصحابه، فالثالث قال فيه النبي ﷺ لما انصرف أما الثالث فاعرض فأعرض الله عنه.

قوله: النوع الخامس كفر النفاق:

والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المنافقون آية ٣].

الشرح: نعم كفر النفاق هوان يتفوه بالإسلام ظاهراً، فأما في باطن الأمر فليس كذلك بل هو على الضد من ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون آية ١].

أي إذا حضروا عندك واجهوك بذلك وأظهروا لك ذلك، وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله ﷺ فقال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ [المنافقون آية ١].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون آية ١].

أي فيما أخبروا به لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم.

وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [المجادلة آية ١٦]. أي اتقوا الناس بالإيمان الكاذبة، ليصَدَّقُوا فيما يقولون فاغتر

بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقدوا أنهم مسلمون، وهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالا، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢﴾ [المنافقون آية ٢].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون آية ٣]. أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفر، واستبدالهم الضلالة بالهدى.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون آية ٣]. أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي.

قوله: الثاني من نوعي الكفر:

كفر أصغر: لا يخرج من الملة، وهو كفر النعمة والدليل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل آية ١١٢].

الشرح: نعم كفر دون كفر، وهو كفر النعمة وهو ما جاء في النصوص أنه كفر لكن دلت النصوص أنه لا يخرج من الملة، كقوله ﷺ للنساء وتكفرن العشير

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفرٌ: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**» رواه مسلم.

معنى هذا الحديث قال هما بهم كفر ولكن هناك فرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله ﷺ ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة وبين كفر منكر في الإثبات، لأنه ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق حتى يقوم به حقيقة الكفر، وكقوله ﷺ أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر هذا من الكفر الأصغر إذا اعتقد أن الله تعالى هو الخالق لذلك، لكن نسبه إلى غير الله.

قوله: النفاق نوعان اعتقادي وعملي:

النفاق الاعتقادي: ستة أنواع صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار.

الأول: تكذيب الرسول ﷺ.

الثاني: تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

الثالث: بغض الرسول ﷺ.

الربع: بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

الخامس: المسرّة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

السادس: الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ.

الشرح:

نعم: النفاق هو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله، مكذب به لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا هو النفاق الاعتقادي النفاق الأكبر الموجب لدخول النار والخلود في دركها الأسفل نعوذ بالله من النفاق ومن دخول النار والخلود فيها

وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن وجلّى لعباده أمورهم، ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طواف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات وفي الكفار آيتين وفي المنافقين ثلاث عشرة آية، لكثرتهم وعموم الابتلاء، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته وهم أعداوه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب، يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية، ويزعمون أنهم بذلك مصلحون قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة آية ١٢].

وقد ذكر الله رياء أهل النفاق الأكبر الذي هو أعظم الكفر وصاحبه في الدرك الأسفل من النار يقول تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة آية ٢٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء آية ٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء آية ١٤٢].

قوله: والنفاق العملي خمسة أنواع:

والدليل من السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» رواه البخاري ومسلم.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» رواه البخاري ومسلم.

الشرح: قوله النفاق العملي، أي الذي جاء في النصوص أنه من النفاق لكن دلت النصوص على أنه لا يخرج من الملة كالمذكور في هذا الحديث، أي آية المنافق ثلاث... الخ. لكنه الكذب يجر إلى النفاق الأكبر فإن النفاق الأكبر، ينبت على ساقيتين، ساقية الكذب وساقية الرياء، ومخرجهما من عينين عين ضعف البصيرة، وعين ضعف العزيمة، فإذا تمت هذه الأركان الأربع استحكم نبات النفاق وبنيانه فكذلك إذا استحكم النفاق العملي بأنواعه الخمسة، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر، جرّه إلى النفاق الاعتقادي نعوذ بالله من ذلك، ولا يتخلص الإنسان من النفاق إلا بالصدق، فالصدق في الأقوال استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها والصدق في الأعمال استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد والصدق في الأحوال استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة فبذلك يكون العبد من الذين جاؤا بالصدق وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته.

معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه:

اعلم رحمك الله تعالى: أن أول ما فرض الله على ابن أدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل آية ٣٦].

فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها وتكفّر أهلها وتعاديهم.

وأمّا معنى الإيمان بالله: فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كلّ معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشّرك وتعاديهم.

وهذه ملّة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة آية ٤].

والطَّاغوت عامٌ، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والطُّواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة.

الأول: الشيطان: الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس آية ٦٠].

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء آية ٦٠].

الثَّالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة آية ٤٤].

الرَّابع: الذي يدَّعي علم الغيب من دون الله والدليل قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن آية ٢٦- ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام آية ٥٩].

الخامس: الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة والدليل قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء آية ٢٩].

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطَّاغوت والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة آية ٢٥٦].

الرشد: دين محمد ﷺ، **والغي:** دين أبي جهل.

والعروة الوثقى: شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة للنَّفي والإثبات تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى: وتثبت جميع أنواع العبادة كلِّها لله وحده لا شريك له.

تعريف الطاغوت: فهو مشتق من طغا، وتقديره طغوت، ثم قلبت الواو ألفاً، قال النحويون وزنه فعلوت والتاء زائدة، قال الواحدي: قال جميع أهل اللغة الطاغوت كل ما عبد من دون الله يكون واحداً وجمعاً ويذكر ويؤنث قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء آية ٦٠].

فهذا في الواحد، وقال تعالى في الجمع: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة آية ٢٥٧].

وقال في المؤنث قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمر آية ١٧].

قال ومثله في أسماء الفلك، يكون واحداً وجمعاً ومذكراً ومؤنثاً، قال: الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة، الطاغوت كل ما عبد من دون الله، وقال الجوهري الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال، وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت.

وقال: عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما وكثير من المفسرين الطاغوت الشيطان، قال: ابن كثير وهو قول قوي جداً فإنه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها، وقال الواحدي عند قول الله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء آية ٥١].

كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت، قال ابن عباس: في رواية عطية الجبت الأصنام، والطاغوت تراجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس، وقال في رواية الوالبي الجبت الكاهن والطاغوت الساحر، وقال بعض السلف في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء آية ٦٠].

إنه كعب بن الأشرف وقال بعضهم حيي بن أخطب وإنما استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤساء الضلال ولإفراطهما في الطغيان وإغوائهما الناس ولطاعة اليهود لهما في معصية الله، فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت قال ابن كثير رحمه الله تعالى قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء آية ٦٠].

لما ذكر ما قيل أنها نزلت في من طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف أو إلى حاكم الجاهلية وغير ذلك، وقال والآية أعم من ذلك كله فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا.

فتحصل من مجموع كلامهم رحمهم الله أن اسم الطاغوت، يشمل كل معبود من دون الله، وكل رأس في الضلال يدعوا إلى الباطل ويحسنه ويشمل أيضاً كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله، ويشمل أيضاً الكاهن والساحر وسدنة الأوثان الداعين إلى عبادة المقبورين وغيرهم، بما يحكون من الحكايات المضلة للجهال الموهمة أن المقبور ونحوه، يقضي حاجة من توجه إليه وقصده وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده

فيوقعوهم في الشرك الأكبر وتوابعه، وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان فهو الطاغوت الأكبر والله تعالى أعلم.

نسأل الله تعالى أن يبارك بهذا المتن وشرحه، وأن ينفع بهما وأن يمن علينا بالإخلاص لوجه الكريم، ومتابعة رسوله ونبيه، محمد ﷺ كما نسأله جل وعلا أن يمنّ علينا بالثبات على الإسلام والموت على الإيمان وحسن الختام، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

كما نسأله أن ينصر دينه وأن يعلى كلمته ويذل أعدائه وينصر المسلمين عليهم في كل مكان، وأن يرحم المستضعفين من المسلمين ويجعل لنا ولهم من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ومن كل بلاء عافيه، وأن يولى على المسلمين خيارهم، وَيكفِهِم شر شرارهم. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس الموضوع

عدد	بيان	الصفحة
١	مقدمة الكاتب	٣
٢	مقدمة المؤلف	٤
٣	الأصول الثلاثاء التي يجب على الإنسان معرفتها	٥
٤	إذا أمر الله العبد وجب عليه ٧ مراتب	٥
٥	حديث البراء بن عازب	٥
٦	إذا قيل لك من ربك	٩
٧	عدم الجواز بتسمي باسم الجلالة الله	١٠
٨	إذا قيل لك ما دينك	١١
٩	الانقياد له بالطاعة	١١
١٠	البراءة من الشرك وأهله	١١
١١	من نبيك	١٧
١٢	وجوب محبة الرسول ﷺ	١٩
١٣	بعث الرسول بالنذارة عن الشرك	٢٣
١٤	المسائل الأربع	٢٥
١٥	الأولى: العلم	٢٥
١٦	الثانية: العمل به	٢٧
١٧	الثالثة: الدعة إليه	٢٩
١٨	الرابعة: الصبر على الأذى فيه	٣١
١٩	أقسام الصبر	٣٢
٢٠	المسائل الثلاث	٣٥
٢١	الأولى أن الله خلقنا ولم يتركنا هملا	٣٥
٢٢	رزق الله عام وخاص	٣٧
٢٣	الثانية أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد	٣٨
٢٤	الثالثة أن من أطاع الرسول ووحدالله	٤٠

عدد	بيان	الصفحة
٢٥	أصل الدين وقاعدته أمران	٤٢
٢٦	الأصل الثاني الإنذار عن الشرك	٤٥
٢٧	تعريف العبادة	٤٧
٢٨	مراتب الدين الثلاث	٥٢
٢٩	المرتبة الأولى	٥٢
٣٠	يوجد بالوجود آلهة باطلة	٥٣
٣١	كفر من عبد أي شيء واعتقده الله	٥٤
٣٢	مقدار نصاب الفضة والذهب الورق وعروض التجارة	٥٧
٣٣	مقدار نصاب بهيمة الأنعام	٥٧
٣٤	أركان الحج وواجباته	٦٠
٣٥	المرتبة الثانية الإيمان وهي ستة مراتب	٦١
٣٦	الأولى الإيمان بالله	٦٢
٣٧	الثاني الإيمان بالملائكة	٦٣
٣٨	الثالث الإيمان بالكتب المنزلة	٦٣
٣٩	الرابع الإيمان بالرسل	٦٤
٤٠	الخامس الإيمان باليوم الآخر	٦٤
٤١	السادس الإيمان بالقدر خيره وشره	٦٤
٤٢	الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربعة أشياء	٦٤
٤٣	أنواع التقدير	٦٥
٤٤	المرتبة الثالثة الإحسان	٦٦
٤٥	معنى الشهادتين	٦٧
٤٦	معنى شهادة أن محمد رسول الله	٧١
٤٧	شروط لا إله إلا الله	٧٢
٤٨	أدلة هذه الشروط	٧٤
٤٩	الأول دليل العلم	٧٤
٥٠	الثاني دليل اليقين	٧٥

عدد	بيان	الصفحة
٥١	الثالث دليل الإخلاص	٧٩
٥٢	الرابع دليل الصدق	٨٤
٥٣	الخامس دليل المحبة	٨٩
٥٤	الأسباب الجالبة لله	٩٢
٥٥	السادس دليل الانقياد	٩٦
٥٦	السابع دليل القبول	١٠٠
٥٧	نواقض الإسلام	١٠٤
٥٨	الناقض الأول	١٠٦
٥٩	الشرك نوعان	١٠٧
٦٠	ذكر الشيخ رحمه الله من الشرك الذبح لغير الله	١٠٨
٦١	الناقض الثاني:	١٠٩
٦٢	الناقض الثالث:	١١٢
٦٣	الناقض الرابع:	١١٥
٦٤	الناقض الخامس:	١١٧
٦٥	الناقض السادس:	١١٩
٦٦	الناقض السابع:	١٢٢
٦٧	الناقض الثامن:	١٢٤
٦٨	الناقض التاسع:	١٢٦
٦٩	الناقض العاشر:	١٢٨
٧٠	التوحيد ثلاثة أنواع	١٣٠
٧١	الأول توحيد الربوبية	١٣٠
٧٢	الثاني توحيد الألوهية	١٣٠
٧٣	قول ابن تيمية رحمه الله في الحلول	١٣٣
٧٤	ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة أنواع	١٣٦
٧٥	الأول الشرك الأكبر	١٣٦
٧٦	الشرك الأكبر أربعة أنواع	١٣٧

عدد	بيان	الصفحة
٧٧	الأول شرك الدعوة	١٣٧
٧٨	الثاني شرك النية والإرادة والقصد	١٣٩
٧٩	الثالث شرك الطاعة	١٤٠
٨٠	الرابع شرك المحبة	١٤٠
٨١	النوع الثاني من الشرك شرك اصغر	١٤٢
٨٢	النوع الثالث من الشرك شرك خفي	١٤٤
٨٣	الكفر كفران	١٤٤
٨٤	الأول كفر يخرج من الملة وهو خمسة أنواع	١٤٥
٨٥	الأول كفر التكذيب والجحود	١٤٥
٨٦	الثاني كفر الإيباء ولاستكبار مع التصديق	١٤٥
٨٧	الثالث كفر الشك	١٤٦
٨٨	الرابع كفر الإعراض	١٤٦
٨٩	الخامس كفر النفاق	١٤٧
٩٠	النوع الثاني من الكفر كفر الصغر	١٤٨
٩١	النفاق نوعان اعتقادي وعملي	١٤٩
٩٢	النفاق الاعتقادي ستة أشياء	١٤٩
٩٣	النفاق العملي خمسة أنواع	١٥١
٩٤	معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه	١٥٢
٩٥	تعريف الطاغوت	١٥٤
٩٦	فهرس الموضوعات	١٥٧